٤ شاقل

الكاتب ١٠٥

للثقافة الانسانية والتقدم

العدد
الخامس بعد المئة
كانون الثاني ١٩٨٩

- محطات ■ محطات ■ محطات

- خطاب عرفات التاريخي في الجمعية العمومية وللأمم المتحدة

- في الشروط التاريخية لنشوء وتطور حركة التحرر الوطني العربية

مستقبل العلاقات العربية الأمريكية

- « مع مسرحية موتى بلا قبور» خطوة نوعية جديدة للارتقاء بالشكل الفني الى مستوى المضمون

المطلوب الاعتراف بالحقائق وليس التهرب منها

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

● رام الله المحتلة ـ أحد الجنود الاسرائيليين «يتمرجل» على أم فلسطينية ●

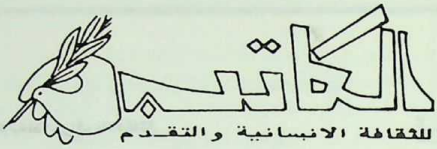

105

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	أوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١٠٥) كانون الثاني ١٩٨٩ السنة العاشرة No (105) January 1989

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

٤	المطلوب الاعتراف بالحقائق وليس التهرب منها	أسعد الاسعد
١١	محطات * محطات * محطات	أبو وديدة
٢٧	خطاب عرفات التاريخي في الجمعية العمومية للأمم المتحدة	الكاتب
٣٦	قائمة بأسماء شهداء الشهر الثالث عشر للأنتفاضة	الكاتب

دراسات وأبحاث :-

٣٩	في الشروط التاريخية لنشوء وتطور حركة التحرر الوطني العربية	د. ماهر الشريف
٦٢	مستقبل العلاقات العربية الأمريكية	د. نصير عاروري

مسرح

٨١	«مع مسرحية موتى بلا قبور» خطوة نوعية جديدة للارتقاء بالشكل الفني الى مستوى المضمون	سعدي عوض

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

٨٥	لماذا ابتسم الشاطر حسن	ابراهيم جوهر

شعـــر

٨٩	.. ولملم قصيدك في دفقة الناي	وسيم الكردي
٩١	الى هيراقليطس: سيد الديالكتيك	حسين جميل البرغوثي
٩٤	قصيدة من الشعر المكسيكي المعاصر عمـــر	خوان خوس أوليبر ترجمة د. محمد عبدالله الجعيدي
٩٥	أصداء ثقافية	

Digitized by Birzeit University Library

المطلوب الاعتراف بالحقائق وليس التهرب منها

أسعد الأسعد

ثمة ما يدفعنا الى القول، بأننا نعيش مرحلة هامة، من مراحل قضيتنا الوطنية، ذلك أن ما جرى منذ انعقاد المجلس الوطني الأخير في الجزائر، والاعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في الخامس عشر من شهر تشرين الثاني الماضي، وما أعقب ذلك من اعتراف تسعين دولة بها، يجعلنا أكثر فهما لما يجري، وأكثر ادراكا للمتغيرات التي أحدثها الموقف الفلسطيني الجديد، وبالتالي، أكثر ثقة بالمستقبل. وهو واقع خلقته الانتفاضة، التي دفعت بالموقف الفلسطيني الى مرتبة عالية من الوضوح والنضوج.

واذا كانت الانتفاضة الفلسطينية، حققت الانجازات العظيمة التي تبدو الان اكثر وضوحا، فان من الانصاف، أن نسجل للانتفاضة دورها في تحقيق هذه الانجازات، سواء على الصعيد الفلسطيني، أو على الصعيد الدولي، حيث أدى وضوح الموقف الفلسطيني، الى دفع القضية الفلسطينية الى مركز الصدارة في سلم أولويات العالم أجمع، واستقطاب تأييد ومؤازرة غالبية الدول الغربية، بعد أن كان الباب مغلقا أمام منظمة التحرير الفلسطينية طوال سنوات طويلة.

إلا أن الانتفاضة، نجحت في اسماع رسالتها، ولا تزال تحتاج الى مساهمة جادة للدفع باتجاه تحقيق مطالبها، وتكريس انجازاتها، ومهمة ذلك تقع على الجانب العربي والفلسطيني، اذ يجب عدم التراجع عن المكاسب التي تحققت حتى الان، بل البحث عن سبل تحقيق المزيد منها، للوصول الى الأهداف الوطنية العامة، وفي مقدمتها، الدولة الوطنية المستقلة، وما من شك الان، في أن المواقف الواضحة، والسياسة الحكيمة التي انتهجتها القيادة الفلسطينية، كانت وراء هذا التغير الكبير، في مواقف دول العالم، وخاصة في اوروبا والولايات المتحدة، مما يتطلب تكريسها، والبناء عليها.

Digitized by Birzeit University Library

الادارة الاميركية والموقف الجديد

حين أعلنت الادارة الاميركية قرارها بفتح الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهي التي كانت رفضت السماح لرئيسها ياسر عرفات بالتوجه الى مقر الامم المتحدة في نيويورك، لابقاء خطابه أمام الجمعية العمومية، قبل أيام فقط من الاعلان عن قرارها، كانت بذلك تعبر عن ادراكها لعزلتها أمام التغيرات التي اجتاحت حلفاءها في اوروبا، فسارعت الى اتخاذ قرارها بفتح الحوار مع منظمة التحرير، فيما بدا واضحا، أن الادارة الاميركية تعلمت درسا مما حدث لها في بعض المواقع، وخاصة في ايران، ويبدو أن وزير خارجية الولايات المتحدة الاسبق هنري كيسنجر، وهو الخبير في شؤون الشرق الأوسط، والصديق الوفي لاسرائيل، لعب دورا مهما في اتخاذ ذلك القرار، بعد أن ذهبت الادارة الاميريكة الى أبعد الحدود في عدائها للشعب الفلسطيني، وقضيته الوطنية.

ولم يكن موقف كيسنجر هذا نابعا من حبه للشعب الفلسطيني وقناعاته بعدالة قضيته بل مساهمة منه في دفع الادارة الاميركية للالتفاف على ما يجري .

واذا كان لنا أن نتحدث عن الاسباب والدوافع، التي حدت بالادارة الاميركية الى «تغيير موقفها»، واتخاذها القرار المفاجىء، والسريع، فان مجموعة من الاعتبارات، كانت وراء ذلك القرار.

أولا :-

احساس الادارة الاميركية المتزايد، بأنها تقف مع حكام اسرائيل في واد، والعالم كله يقف في واد آخر، خاصة بعد أن اتخذت القيادة الفلسطينية مبادرتها السياسية، وذهبت الى أقصى ما يمكن أن تذهب اليه في توضيح موقفها، وطرح مطالبها، والتي بدت قريبة الى فهم واستيعاب العالم لأحقية وشرعية ذلك الموقف، بحيث أقتربت كثيرا، من رؤية كثير من الدول الأوروبية لحل النزاع.

ثانيا :-

شبكة العلاقات الاميركية - العربية، والتي ترتبط ارتباطا قويا بالمصالح المشتركة لكلا الطرفين، الأنظمة العربية، ومصالح الادارة الأميركية الاستراتيجية في الحفاظ على ارتباط هذه الانظمة بها، ورغم أن شكل العلاقة هنا يختلف عن شكله وجوهره مع اسرائيل، الا أن هناك حدودا، تدرك الولايات المتحدة، انه من غير صالحها تجاوزها، فهي ليست معنية باحراج هذه الانظمة، أكثر مما هي عليه، أمام شعوبها، ولعل الترويج لدور الانظمة العربية لحمل الادارة الاميركية على اتخاذها القرار، يستهدف منح المصداقية لهذه الانظمة، وتعزيز دورها.

ثالثا:-

منذ سنوات، والاتحاد السوفييتي يدفع بكل ثقله نحو تحقيق انفراج دولي، وقد حققت سياسته هذه مناخا دوليا، ساعد ولا يزال، في حل كثير من المشاكل الدولية، والنزاعات الاقليمية، عوضا عن تحقيق خفض الاسلحة الاستراتيجية، بما في ذلك الأسلحة

Digitized by Birzeit University Library

والصواريخ النووية، العابرة للقارات، وهناك آفاق واسعة، لتحقيق مزيد من الانفراج، والقضاء على بؤر التوتر في العالم، وقد كان للمبادرة السوفييتية هذه، والتوجه الجاد لتحقيق سلام عالمي، أثر كبير في الضغط على الادارة الامريكية، للانصياع لرغبة العالم هذه، والاستجابة للتوجه العالمي الجديد.

ولا شك أن الشرق الأوسط، من أكثر بؤر التوتر خليانا في العالم اليوم، ولا يمكن للولايات المتحدة، أن تستمر في التغاضي عن رغبة العالم في تعزيز التوجه الجديد، وتكريس سياسة الانفراج الدولي.

رابعا:-

ظلت الادارة الاميركية، تراهن على وعود بالقضاء على الانتفاضة، وحين اقترب موعد الانتخابات الاسرائيلية، راهنت على فوز المعراخ وحين جاءت نتائج الانتخابات مخيبة للأمال الاميركية، وعلى غير ما رغبت به، زاد ذلك من حرجها وعزلتها، فلم يعد أمامها سوى خيارين، فأما أن تواصل سياستها القائمة على مبدأ - انصر أخاك ظالما أو مظلوما- فتخسر بذلك امكانية لعب دور حيوي في المنطقة، بالاضافة الى وقوفها وحيدة في موقفها، بعد أن بدت دول العالم، وبضمنها دول اوروبا، تبتعد عن موقف الادارة الاميركية، أو أنها تبحث عن مخرج، بحيث لا تذهب بعيدا وتبقي الباب نصف مفتوح، وهذا تحديدا، ما لجأت اليه.

خامسا:-

لو أن ادارة ريغان، وهي في وضع تجمع فيه أوراقها لتسلمها لادارة الرئيس الجديد جورج بوش، حمّلته فيما حملته، عبء موقفها من القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، فهي تكون بذلك، قد حمّلته تركة ثقيلة، ويبدو أن الرئيس ريغان، أراد بقراره فتح الحوار مع منظمة التحرير فيما أراد، أن يخفف عن ورويثه جورج بوش عبء ذلك الموقف، الذي خلقه شولتز قبيل اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة، بعد أن تلقت الادارة الاميريكة صفعة قوية، حين قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، الانتقال الى جنيف، للاستماع الى ياسر عرفات، ولا شك أن مندوب الولايات المتحدة، نقل الى ادارته، ما شاهده من حفاوة مندوبي دول العالم بياسر عرفات قبل خطابه، وبعده.

وما دمنا بصدد الحديث عن الأسباب والدوافع التي حدت بالادارة الاميركية الى تغيير موقفها، فانه لا بد من التنويه بمواقف كثيرين من قادة وزعماء المنظمات اليهودية في العالم، الذين انتقدوا بشدة، موقف الحكومة الاسرائيلية-والاميركية من منظمة التحرير، وعدم رؤيتها للمتغيرات والمستجدات.

وقد عبرت المعلقة الاميركية فلورا لويس عن موقف الادارة الاميركية هذا، في مقالة نشرت في صحيفة هيرالد تريبيون يوم ١٩/١٢/١٩٨٨ حيث عزت أسباب اعادة الادارة الاميركية النظر في موقفها الى حفظ ماء وجهها، الذي كادت أن تفقده تماما، اثر موقفها

Digitized by Birzeit University Library

غير المبرر، والذي دفع بها الى مزيد من العزلة، الأمر الذي بات يهدد بفقدانها امكانية لعب أي دور في الشرق الأوسط».

أما ريتشارد كوهين فقد ذهب الى أبعد من ذلك، حين طالب في مقالة له نشرت في صحيفة «واشنطن بوست»، بأن تتخلى الولايات المتحدة عن موقف نصرة اسرائيل، ظالمة أو مظلومة، وأن تصبح ناقدة لها بشكل مباشر».

ورغم أن كبريات الصحف الاميركية، أجمعت على ضرورة الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، الا أن معظمها، طالبت الادارة الاميركية، بعدم «التورط» .. كذا، في الموافقة على عقد المؤتمر الدولي.

مخاطر التوجه الامريكي الجديد

ان أحدا لا يمكنه رؤية المكاسب التي سوف يحققها القرار الاميركي، بفتح الحوار مع القيادة الفلسطينية، فهو يحمل في طياته اعترافا من جانب الولايات المتحدة بمكانة منظمة التحرير وشرعيتها، واقرارا بأحقيتها في تمثيل الشعب الفلسطيني، وتراجعا واضحا، وذا دلالة كبيرة على التغير الذي طرأ على موقف الادارة الاميركية، لكن الاغراق في هذه الدلالات، سوف يكون له من المخاطر، ما هو أكبر مما لو لم يكن البتة، ذلك ان المراهنة على قرار الادارة الاميركية، بفتح الحوار مع منظمة التحرير، وتحميله أكثر مما يحتمل، يعتبر أمرا في غاية الخطورة، اذ ان مخاطر ذلك الاعتقاد، قد تجر الى التسليم به، وكأنه هدف بحد ذاته، وحقيقة الامر ليست كذلك، فالادارة الاميركية لا تزال ترفض التعامل مع القضية الفلسطينية، بصفتها قضية شعب يسعى الى الحصول على حقوقه الوطنية الشرعية، وهي بذلك، لا تقف موقفا يتصف بالحد الأدنى من الانصاف، والنظرة الموضوعية، وذلك تحديدا، ما فتىء المسؤولون في الادارة الاميركية يصرحون به، وهو أيضا، ما صرح به السفير الاميركي في تونس روبرت بيلترو، وهو المفوض الاميركي بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، عقب الجلسة الأول للحوار الاميركي-الفلسطيني، وما يفهم من محضر تلك الجلسة.

أما المخاطر الاكثر جدية، فهي محاولة الادارة الاميركية، جر منظمة التحرير الفلسطينية نحو اجراء مفاوضات مباشرة، ودفعها الى التنازل عن مطلب عقد المؤتمر الدولي، وذلك ما لوّح به بعض المسؤولين الاميركيين، وليس مستبعدا لجوء الادارة الاميركية الى بعض الأنظمة العربية، للضغط على منظمة التحرير لحملها على القبول بذلك، فيما يدفعنا الى القول، بأن الأدارة الامير كية، سوف تحاول من جانبها، أن تجعل من قرارها فتح الحوار مع المنظمة، جسرا الى كامب ديفيد جديد مع المنظمة، وهو ما يجب التنبه اليه، والحذر منه.

وحتى تبدو الصورة أكثر وضوحا، فانه لا مناص من العودة الى الماضي، حيث لم تأل الادارة الاميركية جهدا في دفع الاردنيين والاسرائيليين الى التعجيل في التوصل الى حل فيما بينهما، درءا لأية مخاطر قد تنجم عن تعاظم دور منظمة التحرير الفلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

ومكانتها، وحتى لا يجد هؤلاء أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه، يلزمهم بالتعامل مع منظمة التحرير، كقيادة وحيدة للشعب الفلسطيني.وقد كانت تلك نصيحة هنري كسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد الرئيس الامريكي الأسبق جيمي كارتر لرئيس الوزراء الاسرائيلي في العام ١٩٧٤، اسحق رابين ووزير دفاعه شمعون بيرس، ومن يومها، لم تنقطع محاولات الأطراف المعنية، اسرائيل والاردن والولايات المتحدة، لخلق واقع أخر مختلف، من خلال ايجاد بدائل لمنظمة التحرير ، وتقوية دور ونفوذ النظام الاردني في الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى في ظل حكومة الليكود فيما بعد، وحكومة «الرأسين» لاحقا، حيث جرت محاولات من اجل التقاسم الوظيفي، وتعزيز دور المؤسسات الاردنية وموظفيها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفتح فروع بنك القاهرة - عمان، والترويج لخطة التنمية الاردنية... الخ وقد رافق ذلك، شن حرب ضد قواعد منظمة التحرير في لبنان، كان آخرها الغزو الاسرائيلي الكبير عام ١٩٨٢، الذي أدى الى خروج القوة العسكرية الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية من الاراضى اللبنانية، وملاحقة زعماء المنظمة واغتيال بعضهم، كل ذلك وغيره، لم يكن بمقدوره تغيير واقع ارتباط الشعب الفلسطيني بمنظمة التحرير، ورفضه لأية بدائل أخرى، بل على العكس من ذلك، فقد ظلت منظمة التحرير، محافظة على دورها في المناطق المحتلة، رغم كل الضربات القاسية التي تلقتها، وسقطت كل الرهانات الأخرى، وجاءت الانتفاضة لتعزز تلك الحقيقة، وتزيد من مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، مما حدا بالملك حسين، الى اقراره بالأمر الواقع، حين أعلن في الحادي والثلاثين من شهر تموز عام ١٩٨٨، قرار فك ارتباطه القانوني والاداري مع الضفة الغربية، فيما بدا وضاحا، بأن الملك الاردني، كان أسرع من غيره في ادراك الحقائق، والاقرار بها، رغم أن قراره، استهدف احراج منظمة التحرير، وكشف عجزها عن القيام بالدور المطلوب في الضفة الغربية وقطاع غزة، وحين أدرك فشله، راح يبحث عن مدخل آخر، للمحافظة على موطىء قدم، حتى لا يخسر كل شيء.

أما على الصعيد المحلي، فقد تراجعت كل الرموز المصطنعة، والتي ظلت سلطات الاحتلال . والسلطات الاردنية، تنفخ فيها، محاولة بعث الحياة فيها، محمّلة اياها أكثر مما تحتمل، وبعد سنة من الانتفاضة، لم يعد لهؤلاء وجود، ومن بقي منهم، آثر الصمت والانزواء.

الموقف الاسرائيلي

والمراوحة عند كامب ديفيد

كان للانتفاضة أثرها الكبير على حياة الاسرائيليين، بحيث أصبحت هاجسهم اليومي، وشغلهم الشاغل، لكن مواقفهم رغم تغيرها بهذا القدر أو ذاك، ظلت تراوح عند كامب ديفيد، ومقولاته المعروفة، واذا ارتفعت بعض الاصوات، وجرت بعض التظاهرات، وتوقيع العرائض المطالبة بالكف عن السياسة المتبعة في المناطق المحتلة تجاه الفلسطينيين، الا ان

Digitized by Birzeit University Library

هذه التحركات، لم ترق الى مستوى يمكنها من الفعل او احداث تغيير جوهري في السياسة الاسرائيلية ومواقف حكام اسرائيل، وأصحاب القرار فيها، ويتضح الأن ان القطبين الرئيسين - الليكود والمعراخ - لا يختلفان كثيرا، بل ان ما يلتقيان عليه. فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وسبل حلها، أكثر بكثير مما يختلفان عليه، وخاصة الموقف من منظمة التحرير الفلسطينة، وحق تقرير المصير، واقامة الدولة المستقلة، وعقد المؤتمر الدولي. وجاء تشكيل الحكومة الاسرائيلية، على نحو يؤكد ما ذهبنا اليه، بل ان الطرفين اتفقا على اقامة ثماني مستوطنات جديدة، ويكفي للتدليل على ذلك، الشعار المشترك الذي التقت عليه الحكومة الائتلافية الجديدة. والداعي الى " «التصدي لهجوم السلام الفلسطيني» ومنع قيام دولة فلسطينية.

ان موقف المعراخ هذا، بدد الأن وبشكل لا يقبل التأويل، الوهم القائل بتباين مواقف الليكود والمعراخ حيث ساعدت الانتفاضة ووضوح الموقف الفلسطيني على انفضاح أمر ذلك الوهم.

لكن هذا الموقف من جانب حكومة اسرائيل الجديدة، ذات الائتلاف الواسع للقوى التي تلتقي على رفض التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى رفض قيام دولة فلسطينية في الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، من شأنه أن يخلق مزيدا من المتاعب لاسرئيل، أمام التغير الكبير الذي طرأ على مواقف أصدقائها المقربين، والذين بدأوا الحديث بصورة مختلفة عما تطرحه الحكومة الاسرائيلية، وحتى الادارة الاميركية،وجدت نفسها مضطرة الى تغيير موقفها من منظمة التحرير، ولو أن هذا التغير ليس كافيا بالقدر المطلوب، بحيث يستوجب التطوير، واخلاص النية في موقفها الذي بدأته اول خطواته.

فتمسك الحكومة الاسرائيلية بمواقفها، سوف يزيد من عزلتها، حتى عن حلفائها، والمدافعين عن مصالحها، وبضمنهم قادة وزعماء المنظمات والتجمعات اليهودية في العالم، فهذا رئيس مندوبي المنظمات اليهودية في بريطانيا، ليونيل كوبيلوفيتش، يحذر اسرائيل من أن استمرار رفضها التفاوض مع منظمة التحرير. سوف يلحق ضررا كبيرا بمصداقيتها لدى الحكومة البريطانية، وجميع الأحزاب البريطانية الاخرى.

واذا كانت حكومة اسرائيل الجديدة، لم تدرك بعد كل هذه المتغيرات، وتصر على أن الشمس تشرق من الجنوب، فهو امر يدعو الى الرثاء، فعودة اسحق شامير، رئيس الحكومة الاسرائيلية الى مقولة الانتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة، يدفعنا الى التذكير، بأن انتخابات بلدية جرت قبل اثنتي عشرة سنة، ويومها انتخب الفلسطينيون في المناطق المحتلة مجالسهم البلدية، لكن الحكومة الاسرائيلية، سرعان ما أقالتهم، بدعوى أنهم موالون لمنظمة التحرير الفلسطينية، بل وأبعدت عددا منهم. فهل يعتقد شامير، أنه لو جرت انتخابات الان، سيكون الحال غير ما كان عليه قبل اثنتي عشرة سنة؟! لا نظن أن شامير، أو أيا من وزراء حكومته لا يدرك النتيجة التي ستؤول اليها الانتخابات التي ينادون بها، لكنه التهرب من مواجهة الحقائق، ليس الا، والذي تصر عليه الزعامة الاسرائيلية، ولا تزال تتمسك به والذي تجاوزته الاحداث ولم يعد قائما ولا بأية حال من الأحوال .

Digitized by Birzeit University Library

لكن السؤال الذي يطرح نفسه وبالحاح، اذا كانت كل هذه المتغيرات، المحلية والعالمية، لم تغير مواقف المسؤولين الاسرائيلين، ولم تزحزحهم عن مواقفهم التي تجمدت عند كامب ديفيد، الذي لم يعد قائما الا في الذهنية الاسرائيلية، فالى أي مدى، يمكن ان يذهب هؤلاء المسؤولون في عنادهم، والتفاضى عن رغبة العالم، واجماعه لحل نزاع، تعب العالم من ملاحقته، وأمضى أربعين عاما وأكثر في الانشغال به ؟!

يقينا ، ان العد التنازلي قد بدأ ، وبوتائر سريعة ، وعلى حكام اسرائيل ان يدركوا انه من غير الممكن الاحتفاظ باحتلالهم للضفة الغربية وقطاع غزة الى الابد ، ولا بد من الاعتراف بذلك ، والبدء فورا في مد يد السلام ، لمنظمة التحرير الفلسطينية ، للتحضير لعقد مؤتمر دولي تحضره الاطراف المعنية بالنزاع كافة ، والتسليم بالحقائق الجديدة ، وعدم التهرب منها ، وعلى رأسها ، ان السلام لا يمكن ان يتحقق ، بغير الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وتمكينه من اقامة دولته الفلسطينية المستقلة الى جانب دولة اسرائيل.

Digitized by Birzeit University Library

محطات

* محطات *

محطات

- ابو وديدة -

السياسة الاسرائيلية أمام
الطريق المسدود

مقدمـــة

قبل قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورة الانتفاضة ال ١٩، وقبل الانتفاضة وتحديدا بعد اتفاق عمان، كانت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ومعها حليفتها الادارة الاميركية تضغطان من اجل ان تعترف منظمة التحرير بالقرارين ٢٤٢، ٣٣٨ وتعلن اعترافها بحق اسرائيل في الوجود وتنبذ ما تسميانه بالارهاب، وكانت المؤسسة الاسرائيلية والادارة الاميركية تقولان أن منظمة التحرير إن لبت هذه المطالب فستكون واحدة أخرى غير التي كانت قبل ذلك.

بعد قرارات المجلس الوطني اضطرت المؤسسة الاسرائيلية لاعادة لملمة ما تسميه بحكومة الوحدة القومية من حزب الليكود والعمل اللذين كان يبدو الطلاق بينهما بائنا أثناء الحملة الانتخابية للكنيست. وتركز برنامج الحكومة الجديدة عل محاربة النهج الجديد لمنظمة التحرير وعل منع قيام الدولة الفلسطينية المستقلة باعتبارها خطرا يهدد وجود اسرائيل حسب البرنامج المذكور وتصريحات اسحاق شامير رئيس الوزراء القديم الجديد.

Digitized by Birzeit University Library

والحكومة الاسرائيلية ومعها كل المؤسسة تتخبط في أزمة تزداد عمقا تصاحبها عزلة دولية خانقة. لأول مرة في تاريخها تجد المؤسسة الحاكمة نفسها موضوعة في «القرنة» ليس لها من أنيس غير الادارة الاميركية، وهي الان تشعر بالحزن كما قال بيرس، لان الادارة الاميركية مدت يدا لمنظمة التحرير وبدأت الحوار معها ولأن هذا الحوار يعني قبول واشنطن بفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة في هذه المناطق كما ورد في بيان وزارة الخارجية الاسرائيلية.

والحقيقة فان المؤسسة الاسرائيلية لم تتنكر لمواقف سابقة لها، حين ظلت تصر أن منظمة التحرير هي نفسها لم تتغير بعد تلبية الشروط الاميركية كما يقولون، وما يسميه البعض بتقديم تنازلات بلا مقابل لاسرائيل، فحين كانت اسرائيل تطالبها بعد اتفاق عمان الاعتراف بالقرار ٢٤٢، كانت المنظمة في اضعف لحظات حياتها، وهي الان في اقوى موقف لها منذ ولادتها. وهي مع اعترافها بالقرار ٢٤٢، ٣٣٨ وضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني كقاعدة لعمل المؤتمر الدولي لم تتنازل عن شيء لأن القرار يعالج القضية الفلسطينية كقضية لاجئين كما يقول القائلين بحدوث التنازل. انها ستذهب للمؤتمر الدولي بعد أن اعلنت الاستقلال الفلسطيني واعترف به اكثر من ٩٠ دولة في كثرة منها اخذت تتحول ممثلياتها الى سفارات. وفي المؤتمر الدولي سيجري النقاش على حدود الدولة وضمان سيادتها على ارضها وضمان أمنها وعلاقاتها بالجيران.. وبما في ذلك حل مشكلة اللاجئين وسائر جوانب القضية الفلسطينية حلا عادلا ودائما ليحمل السلام الثابت والمقيم في منطقة الشرق الاوسط.

واذا كانت الانتفاضة، والممارسات الاسرائيلية القمعية المتنوعة قد اعادت تصحيح صورة الصراع العربي الاسرائيلي بعد أن ظلت مقلوبة لاكثر من سبعة عقود، فان قرارات المجلس الوطني وخطاب عرفات في الجمعية العمومية وبيان ستوكهولم وسائر التصريحات والتحركات اللاحقة، أي ما يعرف بانتفاضة الفكر السياسي الفلسطيني قد أزالت ما لحق بالصورة من بقع وتشوهات، وأظهرت الوجه الحقيقي للمؤسسة الحاكمة الاسرائيلية بشكل واضح. لقد ظهر كم هو الشعب الفلسطيني وانتفاضته بوجهها الديمقراطي العميق، وقيادته محبون للسلام جانحون له، وكم هي المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة رافضة لهذا السلام، كارهة للعدالة، منتهكة لحقوق الانسان.

إن أحدا في العالم لا يقبل اليوم الاوصاف التي تطلقها المؤسسة الحاكمة على قرارات المجلس الوطني والمبادرة السلمية الفلسطينية. عزلتها في الامم المتحدة والجفاء مع حلفائها واصدقائها، وبما في ذلك الطوائف اليهودية يؤكد أن وصف شامير، وغيره من اقطاب المؤسسة للقرارات الفلسطينية بأنها مجرد ألاعيب لفظية ومحاولة لخداع العالم وما الى ذلك، هذا الوصف لا يلقى قبولا، ويدلل اكثر على عدم استعداد هذه المؤسسة التنازل عن نزعاتها العدوانية، والتراجع عن اضطهاد شعب تواق للحرية، متعطش للاستقلال.

نظرة العالم الان للمؤسسة الحاكمة الاسرائيلية تتفق الى حد بعيد مع ما قرره يوسى سريد عضو الكنيست من حركة راتس. يوسى سريد قال: في مقال له في هآرتس : « زعماؤنا يفضلون منظمة التحرير التي تشتغل بالارهاب، على منظمة التحرير التي تشتغل

Digitized by Birzeit University Library

بالسلام. فمع الارهابيين لا حاجة للجدال والمساومة والتوصل الى حل وسط، ذلك أن الجميع في مجال الارهاب يطلقون النار بغية القتل. ان منظمة التحرير التي تتخلى عن الارهاب ببساطة تقتلهم، تقتل زعماءنا هؤلاء، ذلك انهم يكونون ملزمين بالجلوس والحديث معها، وطرح آراء واقتراحات والتنازل حتى منتصف الطريق للاتفاق معها» - وهم هؤلاء الزعماء غير مستعدين لذلك.

ويرى العالم كما يرى المحاضر في التاريخ من جامعة حيفا الدكتور داني اريبل أن «جبهة الرفض - للسلام- ليست موجوده في الخرطوم وانما في حكومة اسرائيل».

لكن اقطاب المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة يبررون كل ذلك بالحاجة لمثل هذه الحكومة «لمنع اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ولدرء الخطر الذي تواجهه» كما اعلن شامير أمام مركز حزب الليكود، واضاف «الليكود وحزب العمل وشعب اسرائيل متفقون على منع اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة لدرء الخطر الذي تشكله على وجودنا».

واقوال مماثلة اطلقها اقطاب حزب العمل، بيرس ورابين وآخرون. والمؤسسة الحاكمة لم تترك الكثير لتخمين المراقبين والمهتمين بشأن السبل التي ستتبعها للوصول الى هدفها هذا. فالتصريحات المتتالية وبرنامج الحكومة والتي نالت ثقة الكنيست على اساسه، وكذلك خطة التحرك لشامير ووزير خارجيته أرنس والاجراءات الجديدة ضد الانتفاضة.. كل ذلك يوضح أن الحكومة الجديدة تسير في خطين متوازيين معا. الاول يتمثل في محاربة الانتفاضة، وليس بوسائل القمع وحدها، بغية اخمادها كمقدمة لاجهاض كل الانجازات الفلسطينية الكبيرة الاخيرة.

والثاني تحرك في العالم بغية فك طوق العزلة الذي يتزايد شده على عنق السياسة الاسرائيلية ويحاصرها. وبما في ذلك محاصرة المبادرة السلامية الفلسطينية كمقدمة لدحرها.

لكن ما يلفت الانتباه، ويثير الاهتمام، أن المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة، رغم ما تتباهى به من ذكاء، نبشت ترسانتها، وحكت ادمغتها فلم تجد ما تستعمله غير أسلحة عتيقة صدئة. ومي لا قدرة لها غير احتمال الاعاقة وليس منع قيام الدولة الفلسطينية الذي أصبح حتمية غير قابلة للردع . فها هي عضو الكنيست من حزب العمل، اورا نمير، وفي اجتماع مجموعة الحمائم ١٩٨٨/١٢/١٨، تصف هذه السياسة الرسمية بأنها «سياسة التهرب من مواجهة الحقيقة. والحقيقة أن الدولة الفلسطينية ستقوم لا محالة» وتصرخ محذرة « لا تضحكوا على الشعب ولا تخادعوه كما لو كانوا اطفالا في حديقة اطفال ».

وها نحن نصل معا الى اول محطاتنا لنتعرف على خطة المؤسسة الاسرائيلية ولندقق في بعض تفاصيلها اكثر - ولنستخلص معا أي مصير يواجهها.

محطة «١»

حديث متجدد عن التعب

لا بد وأن القارىء يتذكر تصريحات لاسحاق شامير، رئيس الوزراء الاسرائيلي القديم

Digitized by Birzeit University Library

الجديد، والذي كان وزيرا للدفاع بالنيابة، في الايام الاولى للانتفاضة، أنذاك كان شامير يؤكد أن اخمادها لن يستغرق سوى بضعة أيام ولم يجد رابين داعيا لقطع زيارته لواشنطن والعودة لمواجهة الانتفاضة. واستمرت،الانتفاضة وهي الان على ابواب اغلاق شهرها الثالث عشر، واستمرت الحكومة الاسرائيلية تراكم اجراءاتها القمعية، باعادة استخدام اجراءات اوقفتها مؤقتا، وتطوير اخرى و استحداث وتحديث اجراءات جديدة وبصورة مستمرة. وتراوحت اجراءاتها العقابية بين الاجراءات الفردية والجماعية، متنوعة في عنفها وشراستها وحتى العقوبات الاقتصادية والادارية.. وغيرها وغيرها.واستفزت هذه الاجراءات و ترجمتها في ممارسات قاسية الى درجة نالت عليها اسرائيل شهادة الاستحقاق بصفتها تتقدم في طابور البلدان التي تنتهك لها حقوق الانسان، بفظاظة لا حد لها.

وعلى مدى شهور الانتفاضة تسابق اقطاب المؤسسة الحاكمة للاعلان عن ما اسموه بظهور بوادر التعب على شعب الانتفاضة، واستخلصوا ثم ترقبوا اقتراب موعد توقفها. واستمر تصاعد الانتفاضة وتجذرها يكذب استنتاجات وتنبؤات هؤلاء الاقطاب، لكنهم ظلوا لا يتعظون فيكررون الخطأ. **الانتفاضة ظلت «تتجذر» كما وصفها يوسى سريد عضو الكنيست الاسرائيلي الذي أكد على «استمرارية تعاظم قوتها وارسائها على أسس تزداد عمقا ورسوخا عكس التقديرات التي يطلقها وزير الدفاع » ويضيف سريد وزميله دودي تسوكر في تقرير لهما بمناسبة مرور عام على بدء الانتفاضة أن الانتفاضة تغير اشكال فعاليتها باستمرار حيث تشكل المشاركة الجماهيرية في النضال ضد الاحتلال قاسمها المشترك».**

وبعد مرور عام على بدء الانتفاضة جمعت هي وانجازاتها الكبيرة على صعد مختلفة، حزبي الليكود والعمل في اطار حكومة واحدة يسمونها حكومة الوحدة القومية. وظل اخماد الانتفاضة هدفا ثابتا لهذه الحكومة الجديدة القديمة، وظل رابين يتولى هذه المهمة غير النظيفة. وكانت أولى خطوات هذه الحكومة ترجمة عملية، على شكل اجراء جديد، لصرخات رابين في الكنيست ردا على انتقادات أعضاء فيه لجريمة اطلاق النار في نابلس على مشيعي جثمان فتى شهيد وسقوط خمسة شهداء اخرين من الجرحى فيما بعد ومعهم عشرات الجرحى. رابين صرخ أنذاك أن «العنف سيواجه بعنف اكبر». وفي تصريح أخر قال «ان حوادث العنف سيتم كبحها بقبضة حديدية. أوافق على ما تم عمله لقد كان ذلك ضروريا».

وجاءت الترجمة العملية لهذه التصريحات بتطوير اجراءات استخدام الرصاص البلاستيكي والكرات المعدنية، بهدف اخراج قاذفي الحجارة من المواجهة، حسب تفسيرات رابين ورئيس اركانه الجنرال دان شومرون، الى اطلاق النار بقصد القتل على راشقي الحجارة ومن يرفضون تسليم انفسهم لسلطات الاحتلال من المطاردين كما اشارت بذلك حوادث القتل في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي أو باكورة أعمال الحكومة الجديدة.

والحكم على فعالية الأجراء الجديد في اخماد الانتفاضة نستخلصه من تصريحات عدد من ضباط الجيش الاسرائيلي الكبار في تقييماتهم بمناسبة مرور عام على بدء الانتفاضة.

اكثر ضباط الجيش الاسرائيلي صراحة كان الجنرال ايهود باراك نائب الاركان. قال باراك «من يطالب بتصفية الانتفاضة في المناطق - الفلسطينية المحتلة أ. و - لا يعرف بالذي يتحدث

Digitized by Birzeit University Library

عنه». وقال ضابط كبير آخر ل «يديعوت أحرونوت» لم يفصح عن اسمه، أن غالبية قادة الجيش في المناطق - الفلسطينية المحتلة- على استعداد للاعتراف بأنه «يمكن اضعاف الانتفاضة لكن من غير الممكن اخمادها».

الجنرال دان شومرون رئيس الاركان رد على المطالبين من امثال شارون والجنرال رفائيل ايتان، قائد الاركان الأسبق وعضو الكنيست حاليا، وزعماء حركة متحيا والمستوطنين.. الخ - باتخاذ اجراءات اكثر قسوة من السابق ضد المشاركين في احداث الانتفاضة بقوله « تعلمنا من التاريخ أن كل الجيوش التي تصرفت بقوة وعنف شديدين لم تتصرف بموجب القانون مما ادى الى انهيار الأطر التي جمعت هذه الجيوش ولم تحقق الاهداف التي وضعتها». واضاف: «لا يمكن ايجاد خطوة مؤذية وحتى عنيفة جدا بوسعها انهاء القضية وازالة الرغبة في الاستقلال من وعي سكان المناطق - الفلسطينية المحتلة -».

ورغم هذا الادراك للجنرال شومرون فانه يواصل القيام بممارسات «مؤذية واكثر عنفا» تقود الى انهيار الاطار الذي جمع جيشه، حسب برنامج الحكومة الجديدة القديمة.

وهنا من المناسب التذكير بمفارقة في موقف شامير، فاخماد الانتفاضة تحتل مكانا بارزا في برنامج حكومته ولكنه قبل تشكيلها باسبوعين فقط صرح بعنجهيته المعروفة امام مستوطنين تظاهروا خارج مكتبه قائلا ان اسرائيل « على وشك انهاء الانتفاضة».

لا جـــدوى

ومع أن تصريحات كبار العسكريين، الذين يعرفون الوضع ميدانيا، تقول ان استخدام اجراءات جديدة لا تجدي غير توسيع دائرة الدم والكراهية، فان اقطاب المؤسسة الحاكمة ليس أنها لا تصغي اليهم بل أنها لا تصغي الى العقلاء من المعلقين ورجال الفكر والثقافة ايضا.

ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل أبان عدوان عام ٦٧، ورئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست السابق، يصف مجهودات اسحاق رابين، زميله في حزب العمل، لقمع الانتفاضة، بأنها مجهودات عديمة الجدوى، وينصحه قائلا :«استخدام القوة فقط لوضع حد للانتفاضة في المناطق - الفلسطينية المحتلة أو- لم ينجح في أي زمان ولا في أي مكان في جميع ارجاء العالم».

ومع ذلك فان رابين يستمر في اداء المهمة نيابة عن الليكود ولمصالحه كما يعترف بذلك زملاؤه في حزب العمل. ويضيفون أن مهاجمة شارون والمستوطنين وجماعة متحيا وغيرهم للاجراءات التي يتخذها رابين وممارسات الجيش على اساسها، ليست الا من قبيل الضغط لكي يغرق أكثر ساحبا معه حزب العمل الى قاع ذلك الموقف.

حاييم رامون عضو الكنيست من حزب العمل مثلا يعترف بأن «لا فرق بين ردود فعل رابين وردود فعل شامير ونتنياهو، سواء اكان الأمر يتعلق بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني، أو بالمبادرة السلامية الفلسطينية، أو بالاعلان الاميركي لبدء الحوار مع منظمة التحرير، أو ازاء الجرائم المرتكبة ضد المدنيين في الاراضي المحتلة.

وهذا الأمر دفع ابراهام بورغ عضو الكنيست من حزب رابين كي يصرخ منذرا ! «رابين ينفذ سياسة الليكود في المناطق - الفلسطينية المحتلة - واذا كان الامر هكذا فانا أفضل مع كل فظاعة هذا الكلام أن يقوم بالمهمة شارون مباشرة».

Digitized by Birzeit University Library

أما غيرهم من العقلاء في اسرائيل فليس فقط أنهم يقرون بأن اية اجراءات جديدة، مهما بلغت قسوتها وسعة مجال تطبيقها، لن توقف تطور الانتفاضة وحسب، بل أنها ستلحق المزيد من الأذى، وليس بسمعة اسرائيل الدولة، وتزايد أحكام طوق العزلة حول عنقها وحسب أيضا، بل وانها ستلحق المزيد من الاضرار الاخلاقية بالشعب الاسرائيلي نفسه.

البروفيسور يشعياهو ليبوفيتش، فخر اسرائيل، كما كان يشار له، والحاصل على لقب دكتوراه في سبعة مواضيع مختلفة، يطالب برفض الخدمة العسكرية باعتبارها أمرا ضروريا «لوقف تدهور المجتمع الاسرائيلي نفسه نحو الحيوانية». بسبب الممارسات الوحشية التي ينفذها الجنود الاسرائيليون في المناطق المحتلة، والتي تصبح بمرور الزمن جزءا من شخصياتهم ونمط سلوك في حياتهم.

يزهار سميلانسكي احد ابرز ادباء وكتاب اسرائيل يقول « أنني لا أفكر في التفاصيل، الحدود والاتفاقيات، ومصير المناطق، ومطالب العرب، انني اتساءل هل ما زلنا بني آدميين».

الشاعر دان الماغور، صديق الجنرال عمرام ميتسناع المسؤول الأول عن ممارسات القمع في الضفة الغربية بما في ذلك القدس، والذي سبق وكتب الكثير من الاناشيد لوحدات الجيش بناء على طلب قادتها، يرفع يده محذرا، بعد أن دفعته ممارسات القمع الى كسر حاجز الصمت كما قال، من تدهور المؤسسة الحاكمة سريعا نحو الافعال النازية، والى درجة التأكيد على امكانية استخدام افران الغاز في المستقبل. كما يطالب دوف يرميا، أحد النشطاء من اجل السلام الاسرائيلي الفلسطيني، بمحاكمة اسحق رابين وجنرالات آخرين، بموجب تهمتين مركزيتين، احداهما «دوس وتدمير قيم الجيش مجموعة وافرادا» بسبب استمراره في تنفيذ اجراءات يقرها رابين، كما ينصح دان الماغور صديقه الجنرال ميتسناع بالاستقالة الفورية، والتوقف عن اصدار الاوامر للجنود بالبطش بأهالي المناطق المحتلة.

مهام جديدة

لكن وعلى اساس الاقرار بعدم وجود امكانية لاخماد الانتفاضة، واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل ٨٧/١٢/٨، فان المؤسسة العسكرية بقيادة رابين حددت مهام أدنى من المهمة السابقة واضيق نطاقا ذلك ، لوحدات القمع العاملة في المناطق الفلسطينية المحتلة.

ويعترف كبار قادة الجيش الاسرائيلي أنه حتى في حال تطبيق مقترحات متطرفة جدا كالتي نصح بها الجنرال رفائيل ايتان، قائد الاركان الاسبق، وعضو الكنيست عن حركة تسومت، فان طموح هؤلاء القادة لا يرقى الى اكثر من تحقيق تلك المهام ذات الدرجة الأدنى من مطلب اخماد الانتفاضة.

فالجنرال ايتان طور مقترحات صديقه موشيه أرنس، الذي أصبح وزيرا للخارجية، ومطالب المستوطنين، والذين طالبوا في وقت سابق بالاستيلاء على كل البيوت المحاذية للشوارع العامة ونسف بعضها وترحيل عائلات قاذفي الحجارة.. الخ. ايتان نصح رابين بمنع مرور العرب لمدة شهرين من الشارع الذي يلقى منه حجر على سيارة اسرائيلية وقطع التيار الكهربائي لمدة شهرين عن المنطقة التي يرفع فيها علم فلسطين على عمود كهرباء وابعاد جميع الأباء الذين يقذف

Digitized by Birzeit University Library

ابناؤهم حجارة على الجيش..

ومع أن اجابة رابين كانت بما معناه «العين بصيرة واليد قصيرة» اذ أن الرأي العام العالمي، بمن فيهم أصدقاؤنا، لن يجيز لنا ذلك، الا أن الجنرال ايهود باراك نائب رئيس الاركان، سبق ووصف مثل هذه الاقوال بأنها اقوال غير جادة، وذلك في معرض تقييمه للانتفاضة بعد مرور عام على اندلاعها. وحدد مهمات الجيش، كما فعل رئيسه شومرون، بأنها تنحصر في «تقليص اعمال العنف التي يقوم بها السكان لكن من الواضح أنه لن يعود شيء الى سابق عهده ما قبل ١٢/٩ من العام ٨٧».

واوضح شومرون المسألة اكثر بقوله «لا أستطيع الحديث عن تصفية الانتفاضة ان ما يمكن عمله من خلال القوة العسكرية والهيئات الأخرى هو الدفع باتجاه اوضاع تختفي فيها المظاهرات الكبيرة ومنعهم من الانفصال عن الادارة المدنية».

أما الناطق بلسان الجيش افرايم لبيد فاضاف مهمة فرعية اخرى بقوله أن «عمل الجيش مقتصر اليوم على ضمان طرق وحركة المواصلات للمستوطنين والتي تقدر بآلاف السفريات اليومية للسيارات الخاصة والباصات ».

وفي معرض تبرير فشل الجيش الاسرائيلي في مهمة قمع الانتفاضة، والتحول الى مهام من مستوى ادنى بكثير، يعترف الجنرال عمرام ميتسناع قائد المنطقة الوسطى، بأن «الانتفاضة ليست مجرد قذف حجارة انها حالة ذهنية». كما اعترف الجنرال دان شومرون بأنها في جوهرها «ادراك وطني للسكان ولا توجد وسيلة عسكرية سريعة تمكن من اخراج هذه الرغبة من رؤوسهم». وأضاف : «لا يمكن ايجاد خطوة مؤذية وحتى عنيفة جدا بوسعها انهاء القضية وازالة الرغبة في الاستقلال من وعي سكان المناطق - الفلسطينية المحتلة -».

لكن وحتى القدرة على تحقيق الاهداف أو المهام المشار اليها، والتي هي متواضعة ودنيا مقياسا الى هدف تدمير واخماد الانتفاضة، فانه يبرز من بين الاسرائيليين من يؤكد على عدم توفرها ومن ثم الوفاء بعهد اتمام المهام المذكورة، اما ما ستفعله الاجراءات الجديدة فليس غير «ازدياد تأكل القيم لدى الجنود عمليا ومعنويا وسيشتد الاحتكاك بين المواطنين الفلسطينيين و المستوطنين مما سيتسبب في حدوث كوارث يضطر الجيش للانجرار معها اكثر واكثر وراء املاءات استفزازية من قبل المستوطنين المتطرفين، كما ستزداد اعداد المصابين والمعتقلين ولكن سيتم فورا ايجاد بدائل لمن يتركون ساحة النضال الفلسطيني رغما عنهم» كما جاء في تقرير مشترك لعضوي الكنيست من حركة راتس دادي تسوكر ويوسي سريد. وعلى ضوء ذلك قال النائبان أنه وخلافا لتعهدات العسكريين فانهما يتوقعان «أن لا يقل تواجد جيش الدفاع الاسرائيلي في المناطق المحتلة في العام القادم». واشارا الى ان طريق الخروج من هذه الدائرة المفرغة يكون في احداث «تحول سياسي وبدء حوار مع الفلسطينيين ».

التهرب من مواجهة الحقيقة

وفي معرض تقييم احداث الانتفاضة، بمناسبة مرور سنة على اندلاعها، اكد رابين وجنرلاته مرات عديدة على أن الجيش الاسرائيلي أنجز القسط الاكبر من المهام السالفة الذكر. واشاروا في هذا الصدد الى تراجع ظاهرة التظاهرات الكبيرة، ووصل بهم الأمر حد الترديد العلني لما

Digitized by Birzeit University Library

يوشوش به ذلك النفر من نقاية الشعب الفلسطيني الذي حافظ على صلته بهم. وملخصه أن القسم الأعظم من جماهير الارض المحتلة باتت ترى أن الانتفاضة تلحق أضرارا بمصالحها، دون وجود فرصة لجني اية فائدة، وأنهم يتطلعون الى اليوم الذي تتوقف فيه. أما الذين يريدون استمرارها فهم جماعات صغيرة متطرفة تواصل اعمال التخويف والدفع باتجاه استمرارها وتصعيدها.

ليس هناك ما يدعو للاستغراب أو الاستهجان، من انه في الوقت الذي تكرر الوقائع الملموسة تكذيبها لمثل هذه السفسطات يستمر اصحابها في التمسك بها والعودة لترديدها. وليس فقط أنهم لا يسمعون أو يرون أو يتعلمون، أو انهم فقط يهربون من مواجهة الحقيقة. انهم في تقديري ووببساطة محكومون في مواقفهم وتفكيرهم وليس أمامهم غير فعل ذلك .

سأكتفي هنا باستعراض بعض الامثلة، من وقائع الاسبوع الاخير لسنة ٨٨ فقط. وللحقيقة فان الجنرال عمرام ميتسناع سبق واشار الى احتمال وقوعها عندما قال «ان توقع مجرى الاحداث في المناطق المحتلة هو أمر مماثل لتوقعات الانبياء. فهناك مقومات غير متوقعة في هذا الخليط». وكان في نفس الحديث قد قال «ما زال هناك الكثير من النشاط والفاعلية تحت السطح».

وفعلا أكدت الاحداث اللاحقة لكلام ميتسناع أن هناك الكثير من النشاط والفاعلية تحت السطح. فعندما حدث التنكيل بقرية بيتا بعد قتل فتاة مستوطنة بسلاح حارس مجموعة «المصطفين» في القرية، بهدم وتصديع عشرات البيوت و اعتقال مجموعة كبيرة من ابنائها، أراد ممثلو الاحتلال جعلها امثولة أو عبرة تمنع تكرار مثالها. وقبل ذلك قتل كل قدره فيها على الصمود والمواجهة.

لكن ما حدث في بيتا كان على عكس تخطيط وتوقعات السلطة. فبعد سماع أهلها لنبأ المجزرة الدموية التي نفذت ضد مشيعي شهيد نابلس، خرجت القرية في مظاهرة عارمة توجهت الى الشارع العام المار بقرية حواره، عازمة على الوصول سيرا على الاقدام الى نابلس لتقديم مشاعر العزاء والتضامن مع اهالي المدينة التي كانت آنذاك تخضع لحظر التجول. وبعد اصطدام المظاهرة بحواجز الجيش على الشارع العام، وهو على بعد بضعة كيلو مترات من القرية، عادت وهي تواصل هتافها وترفع اعلامها وليمطرها الجيش بعدد من قنابل الغاز المسيل للدموع.

وفي مخيم طولكرم اسقط اهله ٢٥٠ مترا من سياج الاسلاك الذي يفصله عن الشارع العام بطول ٤٠٠ متر. ومثل هذا العمل يحتاج لمجهود كبير سواء في قص الاعمدة المعدنية أو تأمين الحماية والموازرة ضد الجيش المتواجد بكثافة على طول الشارع العام . ولم ينجح العقاب الصارم للمخيم في ظل حظر التجول في اجبار احد من اهله على الوشاية بأحد ممن نفذوا هذا العمل الكبير.

كما كان الاضراب الذي شمل منطقة بيت لحم يوم عيد الميلاد، بالحساب الغربي، برهانا عمليا ملموسا على سخف الادعاءات القائلة بتعب فئات واسعة من السكان وتطلعهم الى وقف الانتفاضة. فليس فقط أن سكان المنطقة التزموا بتعليمات القيادة الموحدة بل ورفضوا كافة الاغراءات والوعود، وكذلك الضغوط للقيام بمراسيم الاحتفال كما في فترات سابقة. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن زينة العيد وشجرة عيد الميلاد لم تدخل بيوت بيت لحم، بيت ساحور، وبيت جالا، ولم يشارك أي فرد من طائفة اللاتين أو من وجهائها في قداس منتصف الليل. كما التزمت سائر محلات بيع التحف الشرقية بالاضراب العام. ومثل هذا يقدم اكبر دليل على توق جميع فئات

Digitized by Birzeit University Library

السكان وطوائفهم للخلاص من عبودية الاحتلال، وعلى انتظار بزوغ فجر دولتهم المستقلة الآمنة والسيدة على ارضها.

ان «اعادة الوضع في المناطق الى الحال الذي كانت عليه قبل ٨٧/١٢/٩ معناه احتلالها من جديد» حسب تصريح لقائد كبير في الجيش الاسرائيلي لم يفصح عن اسمه ل «يديعوت أحرونوت». وعليه فليس أن طريق اخماد الانتفاضة، حسب برنامج حكومة شامير، هو طريق مسدود فقط بل هو طريق يدفع الرأي العام العالمي بقوة أكبر نحو التفتيش عن حل سياسي للصراع برمته. والى تسريع خطوات عقد المؤتمر الدولي كسبيل وحيد لوقف جرائم الاحتلال. والى تطويق اشد لعنق السياسة الاسرائيلية بالعزلة التي تسعى حكومة شامير الى الفكاك من قبضتها.

محطة «٢»

طريق الاغراءات

في بداية الانتفاضة، وقبل اكثر من عام، صرح اسحاق رابين وزير الدفاع الاسرائيلي قائلا «لن تكون للانتفاضة في الضفة والقطاع أية انجازات سياسية». وثار رابين بعده وبالتناوب مع رئيسه اسحاق شامير على التصريح بأن الفلسطينيين لن يحققوا شيئا عن طريق العنف» والمقصود استمرار الانتفاضة. وحتى عندما بدت انجازات الانتفاضة واضحة ومعترف بها من الجميع استمر رابين وشامير وغيرهما في انكارها.

وحين عاد يوسي سريد من حزب راتس لتذكير اسحاق رابين بتصريحاته السابقة وذلك في اثناء نقاش الموضوع في لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست الاسرائيلي، وحول مسألة بدء الولايات المتحدة حوارا مع منظمة التحرير، رد رابين بالقول «لم أكن اتصور في تلك الفترة أن عرفات يستطيع تغيير كلماته بهذه الصورة».

وكان اسحاق رابين وغيره من المسؤولين، عسكريين وسياسين، ومعهم كبار المعلقين، واصدقاؤهم الاميركان، قد اعترفوا في تقييماتهم بمناسبة مرور عام على الانتفاضة بنجاحات الانتفاضة وانجازاتها الكبيرة والتي تعدادها ليس موضوع هذه المحطة. رابين قال «ان مواطني الضفة والقطاع نجحوا في كسب تأييد الرأي العام العالمي الى جانب قضيتهم ونقلوا مركز الثقل من الاردن الى منظمة التحرير كما استطاعوا بث الرعب في قلوب المستوطنين وزعزعوا ثقتهم في امنهم». وقال الجنرال ميتسناع « لقد حققت الانتفاضة الكثير من الانجازات بينها اعادة القضية الفلسطينية الى صدارة جدول الاعمال العالمي والعربي».

لكن تبديد هذه الانجازات وسد الطريق امام قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في حدود ٤ حزيران عام ٦٧ هو كما سبق وقلنا محور الشراكة الجديدة لحكومة ما تسمى بالوحدة القومية في اسرائيل بين حزبي الليكود والمعراخ اللذين كانت الحملة الانتخابية قد اشارت الى حدوث طلاق بائن بينهما.

ولأن طريق اخماد الانتفاضة اعتمادا على الاجراءات العقابية مهما بلغت شراستها وقسوتها هو طريق مسدود فان الحكومة الاسرائيلية الجديدة تصورت أنها تفوقت في الذكاء على نفسها

Digitized by Birzeit University Library

وقبل أشهر، بالسير على طريق تقديم مكاسب صغيرة لاهالي المناطق المحتلة بهدف تدمير المكاسب الكبيرة لمجموع الشعب الفلسطيني.

ذلك هو جوهر مشروع المبادرة التي ترضي أهل الارض المحتلة والدول العربية ويزعم شامير على اعلانها وقد الح شامير الى أن المشروع الجديد هو «سوبر اتونوميا» أي حكم ذاتي حسب اتفاقات كامب ديفيد ولكنه حكم محسن عن طريق التهجين بين مشروعي الحكم الذاتي الاصلي الذي نادى به شامير والانتخابات البلدية والمحلية «النزيهة» التي تحدث عنها شمعون بيرس أيام كان وزيرا للخارجية. وتشمل الى جانب ذلك تنوعا من البهارات مثل سحب الجيش من المناطق كثيفة السكان وتوسيع صلاحيات المجالس المنتخبة..الخ وصولا الى اختيار ممثلين للفلسطينيين تقبل السلطة الاحتلالية بالتحاور معهم مهما كانت انتماءاتهم السياسية شرط تقييد سقف الحوار بشؤون خدمات مواطني الضفة والقطاع فقط.

ويطمع شامير أن ترى بعض الفئات الاجتماعية، والاشخاص من منبوذي المجتمع الفلسطيني المرتبطين بادارته، في مشروع شامير مكاسب كبيرة بالقياس الى ما كانت قد سبق وقبلت به في اطار شعاراتها بانقاذ ما يمكن انقاذه و القبول بالتقاسم الوظيفي، وتحسين شروط المعيشة وغيرها.

ولا أظن أن شامير ووزارته ومستشاريه، ومعاهد ابحاثه لا يرغبون في استيعاب الواقع، أو انهم فقط مولعون بتجاوز الحقيقة. المشروع كما يوحي شامير يحظى بموافقة اميركية، وذلك يعني أن ادارة البيت الابيض ستوظف نفوذها لمنحه فرصة تجريب حظه مع مبادرته. ويعني أن من ضمن ذلك تحريك الانظمة العربية التابعة لتقديم «النصائح!» لمنظمة التحرير بالتقدم نحو مشروع شامير.

واذا اخذنا في الاعتبار شرطا أخر وهو ايقاف الانتفاضة من ٤-٦ شهور وشامير يطالب الان بايقافها نهائيا، وها هو واحد مثل الياس فريج احد اقطاب سياسة انقاذ ما يمكن انقاذه، يطالب بوقفها سنة، فانه يتضح حجم الخبث الكامن وراء هذه المبادرة.

واستنادا الى احاديث قليلة مع مواطنين من مختلف القطاعات الاجتماعية لمست وعيا ناضجا باستشفاف ما تخبئه هذه المبادرة، وببساطة ليس عند الناس، كما يقولون، استعداد لاستبدال مئة حمامة في اليد بعصفور على الشجرة، أو لاستبدال جمل في البيت بقط في الغابة.

فالحكم الذاتي المحسن والموعود هو بديل لدولة مستقلة أعلنت واعترف بها حتى الأن اكثر من ٩٠ دولة وحصلت على مركز مراقب في الأمم المتحدة، وفي المؤتمر الدولي سيجري الحديث عن حق تقرير المصير وعن الحقوق الوطنية برمتها بما فيها حل مشكلة اللاجئين وليس عن معاني القضية الفلسطينية كقضية لاجئين كما يقول المتحذلقون الذين لم يجاروا حركة الاحداث ووقفوا عند العام ٦٧ مع قرار ٢٤٢. والمؤتمر الدولي سيبحث حدود الدولة وضمانات أمنها واستكمال السيادة الوطنية على ارضها وعلاقاتها بجيرانها جميعا وغير ذلك. وهذا الانجاز لا يمكن استبداله بمفاوضات ثنائية وضمن وفد اردني على حكم ذاتي وليقول من شاءت الاقدار أن يبقى على ارض الضفة أو القطاع لأخيه وابن عمه في الكويت أو الاردن أو لبنان أنت لست أخي ولست ابن عمي. أنا فلسطيني وانت يا ابن امي وأبي اردنيا أو بلا جنسية وبلا حق في قبر.

واذا كانت هناك حاجة لأن تقوم هيئات بلدية وغيرها من الهيئات المنتخبة بدور قيادي في

Digitized by Birzeit University Library

العام ٧٦ فان الحال غيره الان. الانتفاضة غيرت كل شيء ومثل هذه الهيئات لا حاجة لها لغير تصريف شؤون الخدمات وهي لا تحتل مركزا متقدما في اهتمامات الناس الان.

وبدون الدخول في تفاصيل أخرى فان الحكومة الاسرائيلية تأمل في أن تعيد مرة اخرى ما كان السادات قد فعله في العام ٧٨. فبعد انعقاد الجلسة الأولى للمؤتمر الدولي في جنيف ارتد السادات عليه واستبدله بقدومه للقدس وقاده الطريق الى كامب ديفيد والبقية معروفة، واذا كان الحدث التاريخي يقع أول مرة في صورة مأساة فانه حين يتكرر، يتكرر على صورة مهزلة، حسب جوهر مقولة ماركس المعروفة، بقي القول أن شامير يعرف أن احدا في الضفة والقطاع لا يرغب في ان يلعب دورا في مثل هكذا مهزلة، ولكنه يريد، كما يؤكد جملة من المعلقين الاسرائيليين، تعويض المسيرة، مسيرة المؤتمر الدولي مسيرة السلام ولكن فقط الى حين، كما سبق واشرنا في المقدمة الى حديث اورا نمير من حزب العمل.

قبل المحطة الثالثة

المحور الثاني لبرنامج الحكومة الاسرائيلية لمنع اقامة الدولة الفلسطينية يتمثل في محاولات الخروج من العزلة الدولية التي تشتد حولها. ومحاولة اقناع العالم بأن المبادرة السلامية الفلسطينية وقرارات المجلس الوطني وخطاب عرفات في الأمم المتحدة هي مجرد ألاعيب لفظية ومحاولات خداع كما يقول شامير.

والمؤسسة الاسرائيلية الحاكمة باتت مقتنعة أن أطروحاتها لا تلقى قبولا في العالم. وهي وان كانت في الماضي قد اصرت على مطالبة منظمة التحرير الاعلان بشكل قاطع عن قبولها لحق اسرائيل في الوجود. وقرار ٢٤٢ ونبذ ما تسميه اسرائيل باعمال الارهاب فان العالم اخذ يصحو على حقيقة أن اسرائيل ترفض الاعتراف والقبول بما تطالب الاخرين بالقبول به، وهكذا بدأ العالم يطالبها باعلان قاطع وصريح بالقبول بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وفي اقامة دولة مستقلة والتخلي عن هدف تدمير وجوده الوطني واكراهه على العيش في الشتات بلا وطن وبلا هوية والى الاعتراف الواضح بالقرارين ٢٤٢، ٣٣٨، والاقلاع عن استخدام الأرهاب بما في ذلك ارهاب الدولة حيث ثبت تلبس اسرائيل به في مرات عديدة وتصر على مزاولته في الارض المحتلة وخارجها.

ومرة اخرى نبشت المؤسسة الحاكمة ترسانتها فلم تجد غير اسلحة قديمة صدئة تلجأ اليها وهذه بعضها.

محطة (٣)

ألالاعيب والمخادعة سياسة من؟

اسحق شامير قال في جلسة للحكومة ١٢/١٧ ان جميع العالم يريد منا الانسحاب، العالم

Digitized by Birzeit University Library

باسره يركز على الانسحاب اكثر من تركيزه على السلام".

وحتى لا تبدو الحكومة الاسرائيلية بالصورة التي وصفها بها المحاضر داني اريبل من كلية التاريخ بجامعة حيفا بان "الخوف من السلام هو الذي دفعها لعقد هذا الزواج بعد التطورات الاخيرة في جنيف" وان "جبهة الرفض ليست موجودة في الخرطوم وانما في حكومة اسرائيل فان شامير وبيرس وأخرين يقدمون مبررات للعهود التي قطعوها لشعبهم « لن نتفاوض مع منظمة التحرير تحت أي ظرف كان» وأن «اسرائيل لن تغير سياستها تجاه منظمة التحرير التي لا يمكن أن تكون شريكا في المفاوضات»، كما قال أفي بارنز المتحدث باسم شامير، وأن «اسرائيل ستعارض اقامة الدولة الفلسطينية» كما قال بيان وزارة الخارجية تعقيبا على بدء الولايات المتحدة حوارا مع منظمة التحرير.

ومع أن شامير يصف عرفات بأنه «فنان كبير في العلاقات العامة» وأن قرارات المجلس الوطني والخطاب أمام الجمعية العمومية مجرد ألاعيب لفظية ومخادعة كلامية وما الى ذلك فان خطة شامير نفسها تقوم على مجموعة الاعيب لفظية تشير الى عجز فاضح عن فهم ومسايرة سياسة التفكير الجديد التي تنتصر في العالم.

شامير في جلسة الثقة في الكنيست يقول « في أرض اسرائيل التاريخية قامت دولتان يهودية وعربية ولا مكان لاقامة دولة عربية أخرى». وهكذا بتلاعب لفظي عن الحق التاريخي يريد شامير من العالم القبول بالغاء وجود الشعب الفلسطيني كصاحب هوية متميزة ضمن اسرة شعوب الشرق الاوسط.

ويضيف شامير في نفس الخطاب «برنامج الحكومة يقضي بعدم التفاوض مع منظمة ارهابية تسعى الى الحصول على تأييد دولي من اجل اقامة دولة فلسطينية داخل حدود دولة اسرائيل». ومع أن اصدقاء شامير في بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا وغيرها أخذوا على قرارات المجلس الوطني عدم تحديد حدود الدولة الفلسطنية فان شامير يريد بتلاعب لفظي الحصول على اقرار العالم بأن ارض الدولة الفلسطينية هي جزء من أرض دولة اسرائيل. وفي مثل هذا الحال يتصور شامير أن يكون بديهيا أن لا تقبل دولة ما في العالم. مهما كانت رسالتها الانسانية باقتطاع جزء من أراضيها ومنحها لشعب أخر لا حق له فيها لاقامة دولته الوطنية عليها.

وهكذا فان شامير حين يرفض الحوار مع منظمة التحرير لا يبرره فقط بأنها منظمة ارهابية لكن كما قال بيان الخارجية الاسرائيلية ردا على خطوة بدء الحوار الاميريكي مع المنظمة قال أن معنى هذا الحوار هو قبول من واشنطن لفكرة الدولة الفلسطينية في هذه المناطق .

ويعود شامير للعب على اسطوانة مشروخة فيقول أن منظمة التحرير -رغم قرارات المجلس الوطني وخطاب عرفات في الجمعية العمومية وبيان ستوكهولم والتوضيحات اللاحقة - لم تغير اهدافها أي تصفية اليهود وابادة اسرائيل.

ويقول بيان وزارة الخارجية «يجب أن نذكر أن نص منظمة التحرير الفلسطينية - البيان الصحفي لعرفات بعد خطابه في الجمعية العمومية أ.و.- يرتكز على طلب جديد وهو الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة. واسرائيل ترى في هذا النص تهديدا خطيرا لوجودها ولا يمكنها تجاهل ذلك».

ان المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة وهي تضع المسألة على هذا النحو تتصور أن باستطاعتها ابتزاز العالم بالادعاء أن الموافقة والاعتراف بحق الفلسطينيين في الوجود هو في ذات الوقت الموافقة على

Digitized by Birzeit University Library

الغاء الوجود الاسرائيلي. وهي لذلك تبتزه، وتستند في ذلك الى موقف حليفتها الولايات المتحدة بمطالبته بالمحافظة على الوجود الاسرائيلي عن طريق رفض والغاء الوجود الفلسطيني.

ومطالبة العالم القبول بهذا المنطق المريض لا تعكس تخلفا عن مواكبة التفكير الجديد في جوهر حل النزاعات على اساس ضمان توازن مصالح مختلف الأطراف، وفي مثل حالتنا ضمان حق الوجود لكل من الفلسطينيين والاسرائيليين دون أن يلغي احدهما الآخر بل يعكس نظره عنصرية مغرقة في رجعيتها فليس من اجل ضمان حق اسرائيل في الوجود بل من اجل ضمان تلبية مطامعها التوسعية، واطماعها في السيطرة والنفوذ، يتوجب على العالم قبول مطلبها في الغاء حق الشعب الفلسطيني في الوجود وفي دولة مستقلة.

واستنادا لذات المنطق وهي تواصل ترديد المزاعم عن نية الفلسطينيين تدمير اسرائيل على مراحل تظن أن عيون العالم ستظل مغلقة ولن ترى ممارساتها العملية في محاولات مستمرة منذ اربعين عاما لتدمير الشعب الفلسطيني والغاء وجوده سواء كان ذلك عبر ما تستمر في ممارسة ضد الانتفاضة أو في المشاريع التي تنادي بها مجموعات مصابه بالهوس العنصرية كمشروعات الترانسفير أو حملات الابادة التي تشنها على مخيمات لبنان ... وغيرها الكثير.

ولأن البرنامج السياسي الفلسطيني، ومبادرته السلامية، والطابع الديمقراطي العميق للانتفاضة في الاراضي الفلسطينية المحتلة ما عادت تسمح بأن تستمر حكومات اسرائيل في ارتداء أقنعة تخفي حقيقة مطامعها ونواياها فان الجميع بات يصف حكومتها بأنها حكومة معادية للسلام، الأمر الذي ينعكس في اشتداد عزلتها وفشر لكل محاولاتها لفك هذه العزلة، وهكذا يتعمق مأزقها وجهودها لا تفعل غير أن تدفع بها في عمق هذا المأزق اكثر .

محطة «٤»

ديماغوجيا

رغم الاجماع الدولي، الذي تمثل في رفض الجمعية العمومية للامم المتحدة لتهمة الصاق صفة الارهاب بمنظمة التحرير كمبرر لرفض وزارة الخارجية الاميركية منح عرفات تأشيرة دخول الولايات المتحدة، رغم ذلك ظلت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة تعتبر الاستمرار في محاولات دفع منظمة التحرير بالارهاب هي المنقذ لها من المبادرة السلامية الفلسطينية، والمبرر لرفض يد السلام الفلسطينية الممدودة.

واستنادا لذلك بذلت وتبذل دوائر المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة كل هذا الجهد المحموم لالصاق جرعة تفجير طائرة ال «بان اميركان» فوق سكوتلاندة بمنظمة التحرير أو بأي شخص من اصل فلسطيني لاثبات عدم اخلاص منظمة التحرير لمقررات الجزائر ولاعلان عرفات في جنيف رفضه للارهاب من اي نوع كان بما في ذلك ارهاب الافراد وارهاب الدولة.

وهكذا وسعت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة دائرة الافعال التي تضعها لمصف الارهاب لتشمل احداث الانتفاضة أيضا، ظنا منها أن تصاعد الغضب العالمي من أعمال الارهاب وتزايد الاتجاه نحو تنسيق مجهوداته لمكافحتها، سيساعد اسرائيل على اضعاف موقف منظمة التحرير وعكس مسار

Digitized by Birzeit University Library

الأمور ضدها.

وليس اسحاق شامير وحده الذي صار يصف الانتفاضة بأنها ارهاب، كما أنه ليس شارون وحده الذي يطالب باستمرار موقف الرفض في الحوار مع منظمة التحرير بسبب ما يزعمه عن ماضيها الارهابي. ولم يخجل شارون مثلا من الاقدام على البصق على الضمير اليهودي كله حين زعم بأن على اسرائيل رفض الحوار مع منظمة التحرير لأن ايدي قادتها تقطر بدم اليهود كما قال وشارون مثل شامير يبرر ماضيه الارهابي، مثل مذبحة قبية التي بدأ بها طريق مجده العسكري، بدعوى أنها تهدف لتحرير اليهود.

ولا يرى شامير أو شارون مفارق في أنهم يطالبون العالم بأخذ موقفين أو أن يكون بوجهين ازاء قضية أخلاقية واحدة مثل مواجهة الارهاب. فالعمل الوطني الفلسطيني هو ارهاب لأنه موجه للتحرر من احتلال اسرائيل، لكن في ذات الوقت فان الفعل الارهابي اليهودي هو عمل وطني لأنه يخدم هدف تحرير الاسرائيليين.

وهكذا وصف اسحاق رابين قرار الولايات المتحدة ببدء الحوار مع منظمة التحرير بأنه خطأ كبير. أما سبب ذلك فهو أن واشنطن لم تطلب من عرفات «أن يخاطب سكان الضفة والقطاع ويطالبهم بوقف اعمال الارهاب - أي الانتفاضة». ويمضي رابين الى حد اتهام الولايات المتحدة بأنها «أهملت شرطا اساسيا في سياسة اميركا بمكافحة الارهاب» ويضيف أنها «بقرارها هذا اعطت شرعية لعمليات الارهاب من خلال الانتفاضة في الضفة والقطاع».

ويلقي البريغادير في الاحتياط «افرايم سنيه» رئيس ما يسمى بالادارة المدنية السابق في الضفة الغربية، مزيدا من الايضاح على أوصاف رؤسائه للانتفاضة. يقول سنيه في تعريفه الجديد للارهاب بأنه « كل ما من شأنه أن يزرع الخوف، وكل ما من شأنه أن يؤدي الى اصابة جسدية لاحدنا» وطالب سنية بتوضيح هذا التعريف للولايات المتحدة لتعدل موقفها من الحوار مع منظمة التحرير على أساسه.

والبريغادير سنيه مثل الوزير شارون، وان كان لم يخجل هو الآخر من البصق على الضمير اليهودي، ومن الاستخفاف بالعقل اليهودي، الذي يقال أنه مشهود له بالنبوغ على مر العصور، فانه هو الأخر طالب العالم بأخذ موقفين متعارضين من قضية اخلاقية واحدة. فالتعريف الجديد ينطبق على تخويف الاسرائيلي أو الاصابه لجسده أما توريع الفلسطينيين وتمزيق أجسادهم أشلاء وتكسير عظامهم فهو احترام وتقديس لحقوق الانسان، ومكافحة للأرهاب ايضا.

وهكذا فعل البريغادير سنيه مثل رئيسه السابق رابين، استبدل اسم الانتفاضة باسم اعمال الارهاب. وانسجم مع وصف شامير لها الذي يراها «الانتفاضة هي شكل من أشكال الارهاب». فيما يقول رابين في رفضه لخطاب عرفات في الأمم المتحدة وبيانه الصحفي بعدها. أن «عرفات لم يدع الفلسطينيين باللغة العربية الى الامتناع عن الارهاب والعنف. بل انه دعاهم الى استمرار الانتفاضة التي في المناطق -الفلسطينية المحتلة- والتي تعتبر ارهابا».

لكن وعلى عكس ما تخيل ويتخيل اقطاب المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة فان محاولاتهم دفع الانتفاضة بصفة الارهاب، استنادا لنجاحهم في الماضي دفع منظمة التحرير بهذه الصفة الكريهة، هذه المحاولات ركزت اضواء اكثر على ممارساتهم الوحشية في الاراضي المحتلة وضد الانتفاضة. وأخذت نظرة الرأي العام العالمي تتركز أكثر نحو اعتبارها اعمالا ارهابية ترعاها دوله. كما

Digitized by Birzeit University Library

ركزت الانظار على الجرائم التي ترتكبها مخابرات الموساد في انحاء مختلفة من العالم وبما في ذلك عمليات الاغتيال للقادة الفلسطينيين.

واستنفر هذا الاستفزاز الوقح للضمير اليهودي بعض قادة الفكر في اسرائيل ذاتها لمواجهة هذه الديماغوجيا الوقحة. فها هو المحاضر في كلية الآداب جامعة تل أبيب طوفيا موكيد يصرخ أمام مظاهرة في الجامعة «ليتوقف ارهاب تكسير العظام واغلاق المدارس وارهاب اطلاق الرصاص» الذي ينفذه جنود الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة.

ويرد البروفيسور عادي جلعاد رئيس قسم الفلسفة في جامعة حيفا، التهمة الكريهة عن الانتفاضة، وفي ندوة علمية اكاديمية في الجامعة بقوله :«الانتفاضة حرب حقيقية والجيش الاسرائيلي في قتال مع السكان المدنيين. وهذا يدفع المجتمع الاسرائيلي الى ازمة اخلاقية عنيفة لم يسبق لها مثيل ».

ويقول المعلق يشعياهو بن بورات «الانتفاضة هي في الاساس عصيان مدني وتمرد لشعب يكافح من اجل نيل حريته واستقلاله القومي. هكذا ينظر اليها العالم بأسره وليس فقط في الجزء المعادي لنا من العالم».

وفي دفاعه ضد الصاق تهمة الارهاب بالانتفاضة يضيف بن بورات «اذا كانت الانتفاضة بأسرها ارهابا فان «حرب الاستقلال» -المقصود الحرب العربية الاسرائيلية في العام ٤٨ أو- كلها التي بدأناها بكفاح مسلح ضد المحتل البريطاني، هي ارهاب. ومن لا يعترف بهذا فانه يكذب على نفسه وعلى المستوى القومي، فان نظرة كهذه الى الانتفاضة هي كذبة اخرى متفق عليها.

هكذا وخلافا لرغبات اقطاب المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة يتبلور موقف واحد من قضية اخلاقية وانسانية واحدة، دون تمييز لهوية فاعلها، مثل مسألة ادانة الارهاب ومكافحته والقضاء عليه. وعلى أساس ذلك صارت الفكرة من عقد مؤتمر لتعريف الافعال وتصنيفها التي تندرج تحت مصنف الارهاب أمرا مقبولا من الجميع الا من حكام اسرائيل.

كما يزداد الميل لقبول نداء دوف يرميا أحد النشطاء من اجل السلام الاسرائيلي الفلسطيني بمحاكمة اسحاق رابين واعضاء في الحكومة وكبار قادة الجيش الاسرائيلي المسؤولة عن الممارسات العنيفة في المناطق المحتلة «لينالو العقوبة التي يستحقونها». وحدد «يرميا» تهمتين مركزيتين اشرنا لواحدة لها فيما سبق، أما الثانية فهي «الجرائم المرتكبة ضد الفلسطينيين في المناطق المحتلة».

ويصف البروفيسور «يشعياهو ليبوفيتش»، فخر اسرائيل العلمي، الجرائم السابقة بأنها «جرائم ضد الانسانية بأوامر من ارهابيين ». ويصدر ليبوفيتش حكمه القاطع قائلا أن «دولة اسرائيل ولكونها تفرض احتلالها وسلطتها بالقوة على شعب أخر فليس من حقها مطالبة ذلك الشعب بعدم مقاومة احتلالها والنضال من اجل انهائه».

ويختتم يوسي سريد عضو الكنيست من حركة راتس النقاش بقوله: «ان اسرائيل تحلم بدفع عرفات الى ارتكاب خطأ ما ولذلك فان منظمة التحرير واذا هربت من الارهاب فان الارهاب سيلحق بها اذ سيكون كل ما تفعله من الأن فصاعدا ارهابا».

وبعـد

Digitized by Birzeit University Library

يتصور اسحاق شامير انه قادر على تغيير وجهات نظر العالم اجمع ازاء الانتفاضة وازاء قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ومجمل التحرك الفلسطيني الاخير بما في ذلك اخلاصه في مد يده للسلام. ويقول شامير في مقابلة له نشرت مؤخرا مع صحيفة هآرتس أنه يعتقد أن العالم جميعا مخطىء بمن فيهم الولايات المتحدة والاصدقاء الاوروبيين فيما يتعلق بالسياسة الفلسطينية. ويضيف «بالتأكيد هم كذلك ولنا تاريخ طويل صممنا فيه على مواقفنا وواجهنا العالم اجمع وكنا على يقين بعدالة مواقفنا وكان العالم هو المخطىء.

ومع أن اعتراف شامير بأن اسرائيل غدت الان تواجه العالم أجمع، ومثل هذا الموقف لا تحسد عليه دولة في العالم، ولا تستطيع الصمود كما يدعي شامير طويلا في مواجهته، ومثال الولايات المتحدة في موقفها من رفض منح عرفات تأشير دخول الى الولايات المتحدة، واضطرارها للحس قرارها وبدء حوار مع المنظمة، هو برهان ملموس على أن كلام شامير ليس أكثر من جمجمة جوفاء.

ومن الاستعراض السابق يتضح أن الحكومة الجديدة تسير في طريق مسدود وهي وان تضع بعض العقبات في طريق اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وحل النزاع العربي - الاسرائيلي برمته حلا عادلا وشاملا ودائما على اساس العدل والسلام وتوازن مصالح جميع الاطراف، فانها لا تستطيع غير اعاقة مؤقتة أما فجر الدولة الفلسطينية المستقلة، اما ايقاف مأساة الشعب الفلسطيني فهي قادمة لا محالة .

● اهالي بيت ساحور يحيون أربعين الشهيد اياد ابو سعدى في كنيسة الروم الكاثوليك.

Digitized by Birzeit University Library

وثيقة

خطاب عرفات التاريخي في الجمعية العمومية للأمم المتحدة

ننشر فيما كلمة فلسطين في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، التي ألقاها السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ١٣/١٢/١٩٨٨ في جنيف.

قبل اجتماعكم الموقر في مدينة جنيف المضيافة كنت اعتقد بان الموقع والمواقف السياسية الجديدة، التي انتقل اليها شعبنا الفلسطيني خلال اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر والتي اعلنت كلها وسط استحسان وترحيب دوليين كبيرين، سوف تفرض علي الحضور الى مقر المنظمة الدولية في نيويورك لاطلاعكم على مقرراتنا وتصوراتنا بالنسبة لقضية السلام في وطننا كما صاغها مجلسنا الوطني الفلسطيني وهو أعلى سلطة تشريعية في الجسم الفلسطيني السياسي. لذلك فان لقائي معكم اليوم في جنيف، بعد ان حال قرار امريكي جائر دون ذهابي اليكم هنالك، هو مصدر اعتزاز وسعادة لي. فالاعتزاز مصدره وجودي معكم وبينكم لانكم المنبر الام لكل قضايا الحق والسلام في العالم. أما سعادتي فانها مستمدة من وجودي في جنيف حيث العدل والحياد نبراسا ودستورا. ومن هنا فان قرار جمعيتكم الموقرة، الذي صدر بموافقة الدول ال ١٥٤ بعقد الاجتماع هنا، لم يكن انتصارا على القرار الامريكي ولكنه انتصار الاجماع الدولي للحق ولقضية السلام باستفتاء لم يسبق له مثيل وهو دليل على ان قضية شعبنا العادلة قد

Digitized by Birzeit University Library

استقرت في نسيج الضمير الانساني. ان شعبنا الفلسطيني لن ينسى لهذا المجلس الموقر ولهذه الدول الصديقة هذه الوقفة مع الحق ومع العدل صونا للقيم وللمبادىء التي قامت من اجلها منظمة الامم المتحدة و التي سوف تنعكس ثقة واطمئنانا لجميع الشعوب التي تعاني من الظلم والقهر والاحتلال وتناضل مثل شعبنا الفلسطيني من اجل الحرية والكرامة والحياة.

وبهذه المناسبة اتقدم بالشكر العميق لكل الدول والقوى والمنظمات الدولية والشخصيات العالمية التي ساندت شعبنا وايدت حقوقه الوطنية وخاصة الاصدقاء في الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية والدول الافريقية والدول الاسيوية ودول امريكا اللاتينية وكل الدول الصديقة الاخرى. كما أشكر دول أوروبا الغربية واليابان على مواقفها الاخيرة تجاه شعبنا وادعوها الى مزيد من الخطوات على طريق التطوير الايجابي لهذه القرارات لفتح آفاق السلام والحل العادل في منطقتنا، منطقة الشرق الأوسط، وكذلك اتقدم بتأكيد تضامننا ودعمنا لحركات التحرير في ناميبيا

وجنوب افريقيا في كفاحها، مع دعمنا لدول المواجهة الافريقية ضد اعتداءات نظام جنوب افريقيا العنصري. واغتنم هذه الفرصة كذلك لاعبر عن شكري وامتناني لتلك الدول الصديقة التي بادرت لتأييدنا ومساندة قرارات مجلسنا الوطني وكذلك الاعتراف بدولة فلسطين. ولا يفوتني أن انوه بالشكر الجزيل لسيادة الامين العام للامم المتحدة، خافيير بيريز دي كولبار، ومساعديه على جهودهم المتواصلة في انجاز ما تصبو اليه البشرية من انفراج دولي وحلول لمشاكلها وخاصة ما يتعلق بقضية فلسطين كما اتقدّم بالشكر والتقدير الى رئيس واعضاء اللجنة المعينة لممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف لجهودهم تجاه قضية شعبنا. كذلك تحيتي وشكري للجنة التسعة لدول عدم الانحياز الخاصة بقضية فلسطين على كل ما تقدمه من عمل بناء لقضية شعبنا. واليك يا سيدي الرئيس احر التهاني لمناسبة انتخابكم رئيسا لهذه الجمعية. كما احيي سلفك على قيادته الرفيعة لاعمال الدورة السابقة . وأخيرا ارفع التحية والشكر الجزيل للحكومة السويسرية وللشعب السويسري على كل ما قدمه من مساعدة كبيرة وتسهيلات وجهد في هذا السبيل.

قبل (١٤) عاما، في (١٣) من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٤، تلقيت دعوة مشكورة منكم لطرح قضية شعبنا الفلسطيني امام هذه الجمعية الموقرة. وهأنذا اعود اليكم بعد كل هذه السنوات الحافلة بالاحداث الجسام لارى شعوبا جديدة قد احتلت اماكنها بينكم تتويجا لانتصاراتها في معارك الحرية والاستقلال. لمثلي هذه الشعوب اقدم تهاني شعبنا الحميمة. واعلن للجميع انني اعود اليكم بصوت اعلى وبتصميم اقوى وثقة اعظم لاذكر انه لا بد لنضالنا ان يثمر ولدولة فلسطين، التي اعلنا عن قيامها في مجلسنا الوطني، ان تأخذ مكانها بينكم لتشارك واياكم في ترسيخ ميثاق هذه المنظمة وشرعة حقوق الانسان ووضع حد للمآسي التي تتعرض لها البشرية وارساء قواعد الحق والعدل والسلام والحرية للجميع. قبل (١٤) عاما وعندما قلتم لنا في قاعة الجمعية العامة: نعم لفلسطين وشعب فلسطين. نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية. نعم للحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين، توهم البعض بأن قراراتكم لن يكون لها اثر يذكر دون ان يدرك ان تلك القرارات كانت من اهم الينابيع التي روت غصن الزيتون الذي حملته يومها ليتحول بعدما سقيناه بالدم وبالعرق وبالدمع الى شجرة

Digitized by Birzeit University Library

جذرها في الارض وفرعها في السماء واعدة بثمار النصر على القهر والظلم والاحتلال. اعطيتمونا الامل بانتصار الحرية والعدل فاعطيناكم جيلا من ابناء شعبنا كرس العمر لتحقيق هذا الامل انه جيل الانتفاضة المباركة، الذي يحمل اليوم حجارة الوطن ليدافع عن شرف هذا الوطن وليكون جديرا بالانتماء الى شعب يتعطش للحرية والاستقلال. فتحية اليكم جميعا من ابناء شعبنا البطل رجالا ونساء ومن جماهير انتفاضتنا المباركة التي تدخل عامها الثاني بهذا الزخم الكبير وهذا التنظيم الدقيق وهذا الاسلوب الحضاري الدمقراطي في مواجهة الاحتلال والقهر والظلم والجرائم الوحشية التي يرتكبها يوميا المحتلون الاسرائيليون ضده. تحية اليكم من شبابنا وشاباتنا في سجون الاحتلال ومعتقلاته الجماعية، تحية من اطفال الحجارة يتحدون الاحتلال بطاراته ودباباته واسلحته.

لقد قلت في ختام كلمتي في لقائي الاول انني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية اؤكد انذا لا نريد ان نرى نقطة دم يهودية أو عربية تراق ولا نريد استمرار القتال دقيقة واحدة. لقد توجهت وقتها اليكم لنختصر كل هذه العذاب والالام ولنسارع الى وضع اسس السلام العادل المبني على ضمان حقوق شعبنا وتطلعاته وامانيه وحقوق جميع الشعوب سواء بسواء. وقلت انني اتوجه اليكم ان تقفوا مع نضال شعبنا من اجل ممارسة حقه في تقرير المصير وان تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجباري الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف وان تساعدونا على انهاء هذا الظلم الذي تعيش فيه اجيال شعبنا على مدى عقود عديدة من السنين حتى يتمكن من العيش في وطنه وفي دياره حرا سيدا متمتعا بكافة حقوقه الوطنية والانسانية وكان اخر ما قلت على هذا المنبر ان الحرب تندلع من فلسطين والسلام يبدأ في فلسطين. وكان الحلم الذي يراودنا حينذاك ان نقيم دولة فلسطين الديمقراطية التي يعيش فيها المسلم والمسيحي واليهودي على قدم المساواة حقوقا وواجبات في مجتمع واحد موحد اسوة بشعوب اخرى على هذه الارض وفي عالمنا المعاصر.وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما رأينا المسؤول الاسرائيلي يفسر هذا الحلم الفلسطيني المستلهم من ارث الرسالات السماوية، التي أنارت سماء فلسطين. ومن القيم الحضارية والانسانية الداعية الى التعايش في مجتمع دمقراطي حر، على انه مخطط يستهدف تدمير كيانه والقضاء عليه. وكان علينا ان نستخرج العبرة من صعوبة هذا الواقع. فبادرنا في م.ت.ف. للبحث عن الصيغ البديلة الواقعية والقابلة للتحقيق لايجاد حل للقضية يعتمد العدل الممكن لا المطلق ويضمن حقوق شعبنا في الحرية والسيادة والاستقلال كما يضمن للجميع السلام والامن والاستقرار ويجنب فلسطين والشرق الاوسط حروبا ومعارك لا تزال مستمرة منذ (٤٠) عاما ويا للاسف.

الم نكن نحن من بادر الى اعتماد ميثاق الامم المتحدة وقراراتها وشرعية حقوق الانسان والشرعية الدولية أساسا مرجعيا لحل الصراع العربي - الاسرائيلي. او لم نرحب ببيان فانس-غروميكو في عام ١٩٧٧ كبادرة تصلح اساسا لمشروع حل لهذا الصراع . الم نوافق على الاشتراك في مؤتمر جنيف طبقا للبيان المصري-الامريكي عام ١٩٧٧ لدفع عجلة السلام والحل في منطقتنا؟ او لم نعتمد مشروع السلام العربي في فاس عام ١٩٨٢ ومن بعده مشروع الدعوة لمؤتمر دولي للسلام برعاية الامم المتحدة ووفق قراراته؟ او لم نؤيد مشروع برجنيف للسلام في منطقة الشرق الاوسط؟ او لم نرحب ونؤيد بيان

Digitized by Birzeit University Library

البندقية الصادر عن دول السوق الاوروبية المشتركة بشأن السلام العادل في المنطقة؟ او لم نرحب ونؤيد مبادرة الرئيسين غورباتشوف وميتران بشأن اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي؟ او لم نرحب بعشرات المبادرات والبيانات السياسية التي تقدمت بها المجموعات والدول الافريقية والاسلامية ودول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والدول الاوروبية وغيرها بهدف ايجاد تسوية سلمية ترتكز على مبادىء الشرعية الدولية لتأمين السلام وحل الصراع؟ فماذا كان موقف اسرائيل من هذا كله، مع انه ما من مبادرة واحدة أو مشروع واحد او بيان واحد من كل ما اشرت اليه يخلو من مراعاة التوازن السياسي او يغفل مطالب ومصالح اطراف الصراع العربي - الاسرائيلي كافة. لقد كان موقف اسرائيل من هذا كله المزيد من تصعيد مخططاتها الاستيطانية والتوسعية وتأجيج عملية الصراع بتعميم الخراب والدمار واراقة الدماء وتوسيع جبهات الصدام حتى شملت لبنان الشقيق، الذي اجتاحته جيوش الاحتلال عام ١٩٨٢ وما تم في اثناء ذلك الغزو من مذابح صبرا وشاتيلا. ولا تزال اسرائيل تحتل جزءا من جنوب لبنان حتى الان ويواجه لبنان الغارات والاعتداءات الجوية والبحرية والبرية ضد مدنه وقراه وضد مخيماتنا في الجنوب. وانه من المؤلم والمؤسف كذلك استمرار الحكومة الامريكية في رفضها الاعتراف بحق (٦) ملايين فلسطيني بتقرير مصيرهم وهو حق مقدس بالنسبة للشعب الامريكي نفسه ولشعوب الارض قاطبة. واذكرهم بموقف الرئيس ويلسون صاحب المبدأين العالميين في العلاقات الدولية وهما: عدم جواز احتلال اراضي الغير بالقوة وحق تقرير المصير للشعوب. وعندما استفتي الشعب الفلسطيني عام ١٩١٩ بواسطة لجنة كينغ - كرين اختار الولايات المتحدة الامريكية كدولة انتداب ولكن الظروف حالت دون ذلك وجاءت بريطانيا بديلا عنها. وانني لاتوجه الى الشعب الامريكي متسائلا: هل من الانصاف ان لا يطبق على الشعب الفلسطيني ما شرعه الرئيس ويلسون بهذا الخصوص؟ ان الادارات الامريكية المتعاقبة تعرف ان شهادة الميلاد الوحيدة لقيام دولة اسرائيل هي القرار الدولي (١٨١) الصادر عن الجمعية العامة في (٢٩) تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٧ والذي وافقت عليه في حينه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. وهو ينص على قيام دولتين في فلسطين، واحدة عربية فلسطينية والثانية يهودية. فكيف تفسر الحكومة الامريكية موقفها الذي يقر ويعترف بنصف هذا القرار المتعلق باسرائيل ويرفض نصفه الاخر المتعلق بالدولة الفلسطينية؟ بل كيف تفسر رفضها الالتزام بالقرار الذي اتخذته جمعيتكم الموقرة وهو القرار (١٩٤) والقاضي بحق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم التي طردوا منها أو التعويض على من لا يرغب في العودة. ان حكومة الولايات المتحدة تعلم انه ليس من حقها او حق غيرها في تجزئة الشرعية الدولية وتفتيت احكام القوانين الدولية.

ان نضال شعبنا المتواصل في سبيل حقوقه يعود الى عشرات السنين قدم خلالها مئات الالاف من الشهداء والجرحى وعانى من كل انواع العذاب المأساوي ولكنه لم يهن ولم تفتر عزيمته، بل تعزز اصراره على التشبث بوطنه الفلسطيني وبهويته القومية. وان قادة اسرائيل. الذين اخذتهم النشوة الخادعة، توهموا بانه بعد خروجنا من بيروت سيبتلع البحر المنظمة ولم يتوقعوا ان يتحول رحيل المنافي الى مسار للعودة الى الوطن، الى ساحة الصراع الحقيقية الى فلسطين المحتلة. فكانت الانتفاضة الشعبية الباسلة داخل ارضنا المحتلة.

Digitized by Birzeit University Library

الانتفاضة التي قامت لتستمر حتى تتحقق اهدافها في الحرية والاستقلال الوطني . وانه لما يشرفني، يا سيادة الرئيس، ان اكون واحدا من ابناء هذا الشعب، الذي يسطر بدماء اطفاله ونسائه ورجاله اروع ملاحم المقاومة الوطنية ويجترح معجزات يومية اشبه بالاساطير كي تستمر انتفاضته وكي تنمو وتكبر حتى تفرض ارادتها ولتثبت ان باستطاعة الحق ان يقهر القوة. فتحية اكبار لجماهير شعبنا، التي تصنع اليوم هذه التجربة الثورية الدمقراطية الفريدة. انه الايمان الذي لم تزعزعه كل الة اسرائيل العسكرية ولم يرهبه الرصاص بكل انواعه ولم ينل منه دفن الاحياء وكسر العظام واجهاض الحوامل والاستيلاء على مصادر المياه. ولم يوهن عزيمته الاعتقال والسجن والنفي والطرد خارج الوطن واما العقاب الجماعي ونسف البيوت واغلاق الجامعات والمدارس والنقابات والجمعيات والمؤسسات وتعطيل الصحف وحصار المخيمات والقرى والمدن فلم تزد هذا الايمان الا رسوخا لتعم الثورة ولتتجذر في كل شبر من ارض الوطن. **ان شعبا هذه سيرته وهذا تاريخه لا يمكن ان يهزم ولا يمكن لكل قوى البطش والارهاب ان تزحزحه عن عقيدته الراسخة بحقه في وطنه وبقيم العدل والسلام والمحبة والتعايش السمح.** وكما حمتنا بندقية الثائر فحالت دون تصفيتنا وتدمير هويتنا الوطنية في ساحات المواجهة الساخنة فنحن على ثقة تامة بقدرتنا على حماية غصن الزيتون الاخضر في ساحات المواجهة السياسية. ان هذا الالتفاف العالمي حول قضيتنا العادلة لتحقيق السلام القائم على العدل يظهر بشكل ساطع ان العالم يدرك بلا التباس من هو الجلاد؟ ومن هو الضحية؟ من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه؟ ومن هو المناضل من اجل الحرية و السلام ومن هو الارهابي؟ وها هي الممارسات اليومية لقوات جيش الاحتلال وعصابات المستوطنين المتعصبين المسلحين ضد شعبنا واطفالنا ونسائنا تفضح وجه الاحتلال الاسرائيلي البشع وتظهره على حقيقته العدوانية. ان هذا الوعي العالمي المتنامي قد مس المجتمعات اليهودية نفسها داخل اسرائيل وخارجها واخذ يفتح عيونها على حقيقة المشكلة وعلى جوهر الصراع وخاصة امام الممارسات الاسرائيلية اليومية غير الانسانية التي تدمر روح الديانة اليهودية السمحة نفسها ولقد بات من الصعب والى حدود المستحيل ان يعلن اليهودي رفضه للاضطهاد العنصري وتعلقه بالحريات وحقوق الانسان وان يصمت على جرائم وانتهاكات اسرائيل ضد حقوق الانسان الفلسطيني والشعب الفلسطيني والوطن الفلسطيني خاصة امام الممارسات اليومية البشعة للمحتلين وعصابات المستوطنين المسلحين . اننا نميز بين المواطن اليهودي الذي سعت الدوائر الاسرائيلية الحاكمة الى طمس وتزييف وعيه و صورة ضميره باستمرار وبين ممارسات قادة اسرائيل، بل اننا ندرك انه يوجد داخل اسرائيل وخارجها من اليهود الشرفاء والشجعان الذين لا يقرون حكومة اسرائيل على سياسة القمع والمذابح والتوسع والاستيطان والطرد ويقرون لشعبنا حقوقه المتساوية في الحياة والحرية والاستقرار. **وانني، باسم الشعب الفلسطيني، اشكرهم على هذا الموقف الشجاع والشريف. ان شعبنا لا يريد حقا ليس له ولا تقره عليه الشرعية الدولية والقوانين الدولية وهو لا يسعى الى حرية تقهر حرية غيره او مصير يلغي مصير شعب اخر. ان شعبنا يرفض ان يتميز على غيره ويرفض لغيره ان يتميز عليه. شعبنا يريد التساوي مع كل الشعوب، له ما لها وعليه ما عليها .** وانني اتوجه بندائي هذا الى كل الشعوب في العالم وخاصة التي عانت

Digitized by Birzeit University Library

من الاحتلال النازي واعتبرت ان من واجبها ان تطوي صفحة القهر والظلم من جانب اي شعب ضد شعب اخر وان تمد يد العون لكل ضحايا الارهاب والفاشية والنازية بان ترى اليوم بوضوح ما يلقيه عليها التاريخ من مسؤوليات تجاه شعبنا المعذب الذي يريد لاطفاله مكانا تحت الشمس في وطنهم يعيشون فيه اسوة ببقية اطفال العالم أحرارا فوق ارضهم الحرة.

انه لما يدعو للتفاؤل ان تصل مسيرتنا النضالية الى ذروة الانتفاضة الزاهنة في ظل مناخ دولي يتسم بمسعى حثيث وجاد الى الانفراج والوفاق الدولي والتقدم للشعوب، واننا لنشهد بسرور بالغ النجاحات التي حققتها الامم المتحدة وامينها العام بالاسهام الفعال في التوصل الى حلول لكثير من المشاكل وبؤر التوتر في العالم في ظل هذا الوفاق الدولي الجديد ومن المؤكد انه يستحيل ترسيخ هذا المناخ الايجابي الجديد دون الالتفات الى مشاكل الارض وبؤر التوتر المنتشرة فيها بما يمكننا من ضمير انساني اكثر دقة ومسؤولية في تقييم اعمال الانسان والدول ويملك شفافية الاستشراف بما يحمله القرن القادم علينا من تحديات ومسؤوليات جديدة بعيدا عن الحروب والدمار ومن اجل المزيد من الحرية والرفاه والسلام والتقدم للبشرية جمعاء. ولا يختلف احد هنا على ان قضية فلسطين هي مشكلة المشاكل المعاصرة فهي الاقدم عمرا على جدول اعمالكم وهي الاكثر تعقيدا وتشابكا وهي الاشد خطرا بين القضايا الاقليمية على السلام والامن الدوليين. ومن هنا فانها تحتل مكانة الاولوية بين المشاكل التي تستدعي اهتمام الدولتين الاعظم وجميع دول العالم وضرورة القيام بالجهد المطلوب لرسم طريق لحلها وفق اسس عادلة تكون بحد ذاتها اكبر ضمان لتعميم السلام في الشرق الاوسط ونحن في منظمة التحرير الفلسطينية كقيادة مسؤولة عن الشعب الفلسطيني ومصيره ووفاء منا لنضال شعبنا واجلالا لتضحيات الشهداء وحرصا منا على التجاوب مع اجواء الانفراج والوفاق ووعيا منا لاهمية الاسهام في المساعي السياسية السلمية لايجاد حل سياسي يضع حدا لمآسي الحروب والقتال ويفسح المجال لتعايش سلمي تحكمه القوانين الدولية دعونا مجلسنا الوطني الفلسطيني الى دورة غير عادية في الجزائر بين ال ١٢ وال١٥ من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المنصرم وذلك بهدف تحديد وتوضيح موقفنا كطرف اساسي في النزاع العربي - الاسرائيلي لا حل من دون مشاركته ومن دون موافقته

ويسعدني أن اقول لكم بكل اعتزاز ان مجلسنا الوطني من خلال ممارسة دمقراطية كاملة الحرية، أكد من جديد تحمله لمسؤولياته الوطنية العليا فاتخذ من القرارات الجادة والبناءة والمسؤولة ما مهد الطريق لتعميق وابراز رغبتنا واسهامنا في ايجاد تسوية سلمية تضمن حقوق شعبنا الوطنية و السياسية كما تضمن الامن والسلام للجميع.

(وهنا استعرض عرفات باسهاب وثيقة استقلال دولة فلسطين ومقررات دورة الجزائر للمجلس الوطني الفلسطيني).

ويهمني هنا أن اشير الى ان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني تعكس، كما هو واضح من مضمونها وصياغتها، قناعتنا الراسخة بالسلام والحرية وفهمنا وتقديرنا العميقين لمناخ التوافق والوفاق الدولي وحرص الاسرة الدولية على الوصول الى حلول متوازنة تستجيب للمطالب والمصالح الاساسية للصراع. كما تعكس هذه القرارات مدى جدية الموقف الفلسطيني من قضية السلام وحرصه عليها وضرورة تأمينها وضمانها عبر مجلس الامن وتحت رعاية الامم المتحدة.

هذه القرارات تحمل الرد الواضح والحازم

Digitized by Birzeit University Library

على كل الحجج والمواقف المسبقة والذرائع التي كانت تسوقها بعض الدول حول مواقف وسياسات م.ت.ف وفي الوقت الذي كان فيه مجلسنا الوطني يصوت من اجل السلام فان الحكومة الاسرائيلية كانت تغذي النزاعات العدوانية والتوسعية والتعصب الديني لتؤكد تمسكها بخيار العدوان والتنكر لحق شعبنا.

ان الجانب الفلسيطيني صاغ من جهته مواقف سياسية واضحة ومسؤولة تنسجم مع ارادة المجتمع الدولي وذلك في سبيل المساعدة على عقد المؤتمر الدولي للسلام وانجاح اعماله.

اما الادارة الامريكية فما زالت غير ملتزمة بمعيار موحد بين اطراف الصراع وتفرض علينا وحدنا الاقرار بمواقف لا يمكن حسمها قبل التفاوض والحوار داخل اطار المؤتمر الدولي.

ويهمني ان اذكر ان الاعتراف باقرار المساواة والحقوق على اساس متبادل هو المدخل الوحيد للرد على جميع التساؤلات من اية جهة تصدر. واذا كانت السياسات والممارسات على الارض تعكس نوايا اصحابها فان الطرف الفلسطيني هو الاجدر للقلق وطرح التساؤلات الهادفة الى طمأنته على مصيره ومستقبل هذا المصير امام دولة اسرائيل المدججة باحدث الاسلحة بما فيها الاسلحة النووية .

لقد جدد مجلسنا الوطني الفلسطيني التزامه بقرارات الامم المتحدة التي تؤكد حق الشعوب في مقاومة الاحتلال الاجنبي والاستعمار والتمييز العنصري وحقها في النضال من اجل استقلالها وجدد رفضه للارهاب بكل انواعه بما في ذلك ارهاب الدولة مؤكدا التزامه بقراراته السابقة بهذا الخصوص وقرار القمة العربية في الجزائر العام ١٩٨٨ وقراري الامم المتحدة رقم ٤٢/١٥٩ لعام ١٩٨٧ ورقم ٦١/٤٠ لعام ١٩٨٥ وبما ورد في اعلان القاهرة الصادر بتاريخ ١٩٨٥/١١/٧ بهذا الخصوص، ان هذا الموقف الواضح والذي لا لبس فيه. ومع ذلك فانني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية اعلن من هنا مرة اخرى انني ادين الارهاب بكل اشكاله واحيي في الوقت ذاته جميع من ارى امامي في هذه القاعة وممن اتهمهم جلادوهم ومستعمروهم بالارهاب في اثناء معارك تحرير بلادهم من نير الاستعمار وهم اليوم القادة الامناء لشعوبهم والاوفياء الخلص لمبادىء وقيم العدل والحرية. وتحية اجلال لمن سقط من الشهداء على يد الارهاب والارهابيين وفي المقدمة رفيق العمر نائبي الشهيد الرمز، خليل الوزير (ابو جهاد)، وشهداء المذابح التي تعرض لها شعبنا في مختلف المواقع والاماكن والمدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع وفي الجنوب اللبناني.

ان الموقف في وطننا الفلسطيني لم يعد يحتمل الانتظار. وها هي جماهير شعبنا واطفالنا تتقدم الركب حاملين مشاعل الحرية وهم يستشهدون يوميا من اجل اجلاء المحتل وارساء قواعد السلام في وطنهم الحر المستقل وفي المنطقة كلها. لذلك فان المجلس الوطني الفلسطيني انطلق من قراراته على اساس الواقعية اخذين بعين الاعتبار ظروف الفلسطينيين والاسرائيليين ولتوفير مناخ التسامح بينهما. ان مسؤولية الامم المتحدة تجاه قضية شعبنا وحقوقه هي مسؤولية تاريخية واستثنائية ومنذ اكثر من (٤٠) عاما قررت الامم المتحدة بناء للقرار (١٨١) اقامة دولتين كما اسلفت في فلسطين، واحدة عربية واخرى يهودية، ونحن نرى اليوم ورغم الظلم التاريخي الذي لحق بشعبنا ان هذا القرار ما زال يوفر شروط الشرعية الدولية، التي تضمن حق الشعب العربي الفلسطيني بالسيادة والاستقلال الوطني. لذلك فان تسريع وتيرة عملية السلام في المنطقة يتطلب جهدا استثنائيا من جانب

Digitized by Birzeit University Library

جميع الاطراف المعنية والاطراف الدولية واخص بالذكر الولايات المتحدة والامريكية والاتحاد السوفيتي اللذين يتحملان مسؤولية كبيرة تجاه قضية السلام في منطقتنا. ان دور الامم المتحدة والاعضاء الدائمين في مجلس الامن وكل الكتل والهيئات الدولية حيوي وهام في هذه المرحلة. ولذا اتقدم بمبادرة السلام الفلسطينيـــة التالية، بصفتي رئيسا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تتولى مهام الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين:

أولا - ان يتم العمل الجاد لعقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي في الشرق الاوسط وتحت اشراف الامين العام للامم المتحدة. وذلك بناء على مبادرة الرئيسين ميخائيل غورباتشوف وفرانسوا ميتران، والتي.. ايدها العديد من الدول. وتفضل الرئيس ميتران بعرضها على جمعيتكم في اواخر ايلول (سبتمبر) الماضي. وذلك تمهيدا لعقد المؤتمر الدولي، الذي تؤيده جميع دول العالم باستثناء حكومة اسرائيل.

ثانيا - انطلاقا من ايماننا بالدور الحيوي للامم المتحدة وبالشرعية الدولية فاننا نرى ان يتم العمل لاشراف مؤقت للامم المتحدة على ارضنا الفسطينية ووضع قوات دولية لحماية شعبنا وتشرف في الوقت نفسه على انسحاب القوات الاسرائيلية من بلدنا.

ثالثا - ان منظمة التحرير الفلسطينية ستعمل للوصول لتسوية سلمية شاملة بين اطراف الصراع العربي - الاسرائيلي بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل والدول المجاورة الاخرى في اطار المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط بما يحقق المساواة وتوازن المصالح وخاصة حق شعبنا في التحرر والاستقلال الوطني واحترام حق العيش والسلام والامن للجميع، لجميع اطراف الصراع في منطقتنا كما اسلفت. ووفقا للقرارين (٢٤٢) و(٣٣٨) وفي حالة الاقرار بهذه الاسس داخل المؤتمر نكون قد قطعنا شوطا اساسيا نحو الحل العادل مما يتيح الاتفاق على كل ترتيبات الامن والسلام.

ارجو ان يكون واضحا ان شعبنا الفلسطيني يقدر ما يحرص على نيل حقوقه الوطنية المشروعة في تقرير المصير والعودة وازالة الاحتلال عن ارض الوطن الفلسطينية فانه يحرص على المسيرة السلمية لتحقيق هذه الاهداف في اطار المؤتمر الدولي برعاية الامم المتحدة ووفق ميثاقها وقراراتها وانني اؤكد اننا شعب يتوق الى السلام مثل كل شعوب الارض وربما بحماسة اكبر بسبب طول هذه المعاناة طوال هذه السنوات وبسبب حرمانه من التمتع بحياة طبيعية بعيدا عن الحروب والمآسي وعذاب النفس والتشرد ومعاناة العيش اليومي القاسية فلترتفع الاصوات المؤيدة لغصن الزيتون وسياسة التعايش السلمي واجواء الانفراج الدولي ولتتشابك الايدي دفاعا عن فرصة تاريخية قد لا تعوض تضع حدا لمأساة طال عمرها وكلفت تضحيات الاف الارواح ودمار مئات القرى والمدن. واننا اذ نمد يدنا بغصن الزيتون وبغصن السلام فلانه يتفرع في قلوبنا من شجرة الوطن والحرية.

لقد اتيت اليكم باسم شعبنا باسطا يدي لنصنع السلام الحقيقي، السلام القائم على العدل. ومن هذا المنطلق اطالب قادة اسرائيل بان يأتوا الى هنا تحت اشراف الامم المتحدة لنصنع هذا السلام. واقول لهم، كما اقول لكم، ان شعبنا يريد الكرامة والحرية والسلام ويريد الامن لدولته كما يريده لجميع دول واطراف الصراع العربي - الاسرائيلي.

وهنا اتوجه بالتخصيص الى الاسرائيليين بكل فئاتهم وقواهم وشرائحهم وفي مقدمتهم القوى الديمقراطية وقوى السلام واقول لهم:

Digitized by Birzeit University Library

تعالوا بعيدا عن الخوف والتخويف لنصنع السلام وبعيدا عن شبح الحروب المتواصلة منذ اربعين عاما في اتون هذا الصراع وبعيدا عن التهديد في انفجار الحروب القادمة التي لن يكون وقودها الا اطفالكم واطفالنا. تعالوا لنصنع السلام-سلام الشجعان، بعيدا عن غطرسة القوة واسلحة الدمار بعيدا عن الاحتلال والقهر والذل والقتل والتعذيب. قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء لنقيم السلام على ارض السلام، ارض فلسطين. المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة. اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام فاحيينا يا ربنا في السلام وادخلنا الجنة دارك، دار السلام، واخيرا اقول لشعبنا: الفجر آت، آت. والنصر آت آت. وانني ارى الوطن في حجارتكم المقدسة وارى علم دولتنا الفلسطينية المستقلة يرفرف فوق روابي الوطن الحبيب.

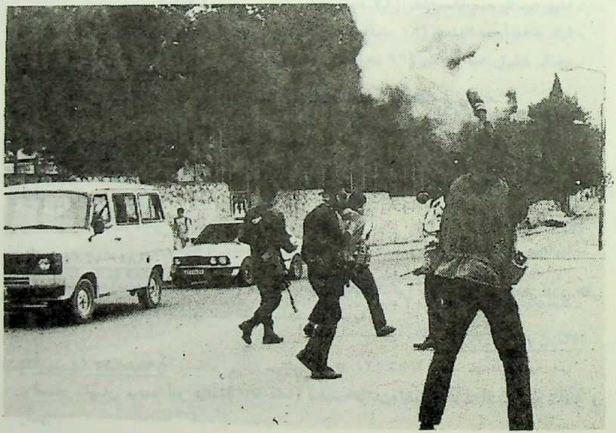

● قوات الاحتلال تقطر المدرسة المأمونية الثانوية للبنات في القدس المحتلة بقنابل الغاز ●
(عن «الاتحاد». تصوير: اكرم صفدي)

Digitized by Birzeit University Library

قائمة بأسماء شهداء الشهر الثالث عشر للأنتفاضة

أنهت الانتفاضة الشعبية قبل حوالي الشهر العام الأول لها، ومع صدور هذا العدد تقترب من انهاء الشهر الاول من العام الثاني.

وقد بلغ عدد الشهداء منذ بداية الأنتفاضة في ٩/١٢/١٩٨٧ وحتى ٣١/١٢/١٩٨٨ (٤٣٥) شهيدا، هذا بالاضافة الى آلاف الجرحى والمعتقلين .

وفي شهرها الثالث عشر بلغ عدد الشهـــداء (٣٦) شهيدا .

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر الثالث عشر

الخميس ١/١٢/١٩٨٨

- هاني سامي هرشة (١٧ عاما) قرية قفين /طولكرم. أصيب برصاصة في رقبته.

السبت ٣/١٢/١٩٨٨

- حامد محمد الحاج محمد (١٤ عاما) قرية بيت فوريك/نابلس/.اصيب برصاص الجنود الذين أنزلتهم طائرة مروحية.

الأحد ٤/١٢/١٩٨٨

- ابراهيم محمود حمدية (٧٠ عاما) قرية اليامون/جنين.متأثرا بالاختناق من الغاز الذي القى بالقرب من منزله أثناء الاشتباكات التي اندلعت في القرية.

الاثنين ٥/١٢/١٩٨٨

- أسماء سليمان محمد أبو عبادة(١٤ عاما) مخيم الشاطىء/قطاع غزة، أصيبت برصاصة في رأسها .

الخميس ٨/١٢/١٩٨٨

- يوسف محمد يوسف شقير (٢٢ عاما) كفر راعي/جنين.أصيب بالرصاص

Digitized by Birzeit University Library

السبت ١٠/١٢/١٩٨٨

- حسني علي أبو سيدو (١٥ عاما) الرمال-غزة. أصيب برصاصة في رأسه.
- عبدالله ابراهيم أبو محروقة (٢٠ عاما) غزة. استشهد في أنصار ٢ برصاص حراس السجن.
- عطا الله مصلح أبو الياس (٦٥ عاما) بيت ساحور. أصيب بنوبة قلبية خلال مشادة مع قوات الجيش قرب حاجز داخل البلدة.

الثلاثاء ١٣/١٢/١٩٨٨

- حمدان حسين النجار (٢٦ عاما) بورين / نابلس- قتل برصاص الجنود بعد أن قتل مستوطنا وخطف سلاحه وقتل به جنديا وجرح آخرين.

الخميس ١٥/١٢/١٩٨٨

- أشرف نايف عبدو الحاج داود (١٥ عاما) نابلس. استشهد نتيجة لاصابته بعيار ناري يوم ١٩٨٨/١١/٢٥.

الجمعة ١٦/١٢/١٩٨٨

- ياسين الشيخ عادل سعاده الشخشير (١٩ عاما) نابلس. أصيب برصاصة في رقبته.
- فايز عبد الرحيم قاسم شقو (٢١ عاما) نابلس أصيب برصاصة في القلب.
- اياد حافظ أحمد الهندي (١٨ عاما) نابلس. أصيب برصاصتين في الرأس والصدر.
- نضال شفيق، عبدالرحمن (٢٦ عاما) بيت وزن/نابلس.

السبت ١٧/١٢/١٩٨٨

- محمد حسين أمين الكوني (٢٢ عاما) نابلس. متأثرا برصاصة أصابته في صدره يوم الجمعة ١٩٨٨/١٢/١٦.

الاحد ١٨/١٢/١٩٨٨

- ابراهيم محمد عبد الرحمن المباشر (٢٤ عاما) دير الغصون / طولكرم.
- زهير اسماعيل عبد الخالق فياض (٢٢ عاما) مخيم الشابوره/رفح. رصاصة في العنق
- محمد مصطفى فرحات (٣٠ عاما) مخيم يبنا /رفح. رصاصة في الصدر.

الاثنين ١٩/١٢/١٩٨٨

- بدر محمد سعيد خضر قرادة (١٣ عاما) نابلس. متأثرا بكسور في الجمجمة أصيب بها بعد القائه من سيارة جيب عسكري يوم السبت ١٩٨٨/١٢/١٠.

الأربعاء ٢١/١٢/١٩٨٨

- عبد الرحمن رشيد عبد الرحمن قدوره (٢٣ عاما) قرية كفر لاقف /نابلس. استشهد نتيجة لاصابته بالرصاص في صدره وقلبه وعموده الفقري يوم الجمعة الدامي ١٢/١٦ في مدينة نابلس.

Digitized by Birzeit University Library

السبت ٢٤/١٢/١٩٨٨

- جهاد مصطفى محمد يوسف عمران (٢١ عاما) قرية دير الحطب/نابلس. استشهد في مستشفى المقاصد الخيرية أثر اصابته بعيارات نارية في رأسه يوم الجمعة ١٢/١٦.

- حسين يوسف أحمد فراش (١٦ عاما) طمون / جنين - جراء معالجتهما عبوة متفجرة .
- حسام مرعي (١٢ عاما) مرج نعجة

الاحد ٢٥/١٢/١٩٨٨

- محمد نمر جمال هواش (٢٠ عاما) نابلس. استشهد في مستشفى المقاصد الخيرية اثر اصابته بعيارات نارية في رأسه يوم الجمعة الدامي ١٩٨٨/١٢/١٦.
- رائد رشدي ضميدة (١٧ عاما) مخيم جباليا/قطاع غزة. أصيب بعيارين ناريين مزقا رأسه، حيث خرج دماغه الى الخارج.

الاثنين ٢٦/١٢/١٩٨٨.

- محمد عمر خليل (٢٠ عاما) عبوين/ رام الله. أصيب بعيارين ناريين في صدره وساقه .

الاربعاء ٢٨/١٢/١٩٨٨

- محمد سمير شحادة (١٨ عاما) نابلس، أصيب بعيار ناري في ظهره واخترق الصدر .

- جبريل جبر القر (١٩ عاما) قرية الريحين /الخليل. أصيب بعيار ناري في صدره.

الجمعة ٣٠/١٢/١٩٨٨

- عبد الحليم بخيت (٢٢ عاما) حي الشيخ زبوان/غزة. استشهد اثناء المظاهرات العنيفة التي شهدها الحي.
- مصباح شعبان دلول (٢٠ عاما) حي الزيتون
- سامي محمد ارحيم (٢٢ عاما) حي الزيتون } غزة. استشهدا بعد اطلاق النار عليهما عند حاجز عسكري
- نضال محمود غودة الله (١١ عاما)
- باسم سلمان عوده الله (٨ أعوام) } عرابة /جنين. أثر انفجار لغم أثناء رعيهما للماشية.

السبت ٣١/١٢/١٩٨٨

- أنور بسام بيهتي (١٤ عاما) شويكة/طولكرم. متأثرا بجراحه أثر اصابته بعيار ناري في رأسه يوم ١٩٨٨/١٢/٦.
- زكي زاهي رامز التيتي (٢٠ عاما) نابلس. أصيب بعيار ناري في الصدر.
- اسماعيل أحمد البرغوثي (٢٢ عاما) بيت ريما / رام الله. أثناء المظاهرات العنيفة التي شهدتها القرية.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة ، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

في الشروط التاريخية لنشوء وتطور حركة التحرر الوطني العربية

(مساهمة في النقاش)

د. ماهر الشريف

"نقدم اعتذارنا للدكتور ماهر الشريف عن عدم تمكننا من نشر مقاله كاملا لأسباب خارجة عن ارادتنا."

عندما دعيت من قبل الرفاق في مجلة «الطريق» الى المشاركة في العدد الخاص المزمع تكريسه لفكر رفيقنا وشهيدنا الكبير مهدي عامل وعدتهم بتقديم مادة تستعرض مؤلفيه:

«مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني. في التناقض وفي نمط الانتاج الكولونيالي». غير أنني، وبعد أن فكرت في الامر مليا، وجدت أن أفضل تكريم يمكن أن يخص الواحد منا به الشهيد مهدي هو أن يعمل بالاسلوب الذي كان محببا اليه كثيرا، أي أن يحاور، يناقش وينتقد، فمهدي كان يستحث دوما عل الحوار وتصارع الافكار، من منطلق قناعة راسخة تكونت لديه بأن طبيعة الفكر المناضل «هي التي تفرض عليه المجازفة، وتفرض، بمنطقها اياه، المناقشة»، ومن منطلق ايمانه العميق بأن الفكر لا يتطور الا اذا جازف، ولا يتعزز الا بنقد يدفعه الى مجازفة أكبر. ففي نظر مهدي، لم تكن حركة التاريخ، في الفكر، كحركة التاريخ في الواقع الاجتماعي، سوى «حركة تحرير في حركة تحويل، حركة ثورية بامتياز، ينتصر فيها من يجرؤ عليها، يدركها، فيقتحم، ومنطقها»، دوما، صراع ضد القائم اللاجم». وفي كل الاحوال، فان حب الحوار والدعوة اليه، هي سمة طبعت ممارسات حزب مهدي عامل، وحبذا لو أمكن تعميمها عل مستوى كل القوى الوطنية والتقدمية في عالمنا العربي.

٠ قبل استشهاده بفترة قصيرة كتب الرفيق مهدي مقالا ممتعا وغنيا حول موضوع شائك، تباينت الاجتهادات حوله كثيرا، هو موضوع «الازمة» في حركة التحرر الوطني العربية. فقد كان الرفيق كريم مروة قد نشر مقالا، في العدد الثامن من مجلة «النهج»(أيار ١٩٨٥)، تحت عنوان :

«حركة تحرر وطني أم حركة ثورية ؟ بحث في الشروط التاريخية للعملية الثورية في البلدان

Digitized by Birzeit University Library

العربية»، حاوره في الرفيق مهدي، «من الموقع الفكري والسياسي اياه الذي كتب فيه»، في مقال مطول بعنوان: « حركة التحرر الوطني: طبيعتها وأزمتها» (مجلة الطريق، عدد حزيران ١٩٨٦)، جاء بمثابة خلاصة مكثفة، تميزت بمستوى رفيع من القدرة على التجريد النظري، لمجموعة الافكار التي طرحها الرفيق مهدي منذ أن بدأ بحثه في موضوع حركة التحرر الوطني، أي منذ مطلع السبعينات كما أعتقد .

وفي هذا البحث، سأحاول، من جانبي تقديم بعض الافكار حول نفس الموضوع الذي كتب فيه الرفيقان، أو لنقل أنني، سأحاول أن أناقش ما كتباه، ولكن من موقع مختلف مع بعض المنطلقات التي انطلقا منها ومع بعض النتائج السباسية والنظرية التي توصلا اليها. ولكنني، وقبل أن أبدأ، أود تسجيل الملاحظة التالية: قد لا يتفق المرء مع بعض طروحات الرفاق في الحزب الشيوعي اللبناني حول قضايا حركة التحرر الوطني العربية ومعضلات تطورها، ولكنه لا يستطيع الا أن يعترف بالدور الرائد الذي لعبوه في اعادة طرح هذا الموضوع، ضمن اشكاليات جديدة، على بساط البحث، ومساهمتهم الفعالة، بالتالي، في تعميقه واغنائه.

- في طبيعة حركة التحرر الوطني

سأبدأ هذا البحث من حيث ابتدأ الرفيقان كريم مروة ومهدي عامل، أي من عند طبيعة حركة التحرر الوطني، خصوصا وقد بدا لي أن الرفيقين، اللذين انطلقا من نفس المنطلقات النظرية، لم يساهما في ازالة الالتباس حول طبيعة هذه الحركة ودور الطبقات المختلفة في اطارها، بل عملا، على العكس، على تعميقه.

ففي طرحه لسؤال : أية حركة هي حركتنا، حركة تحرر وطني أم حركة ثورية ؟ حاول الرفيق كريم أن يشدد على الطابع والمحتوى الثوريين لحركة التحرر الوطني، وبخاصة بعد أن «أعطى انتصارثورة اكتوبر الاشتراكية محتوى جديد لهذه الحركة، وجعلها تصبح جزءا مكملا من نضال البروليتاريا العالمية ضد الرأسمالية، جزءا من الثورة الاشتراكية»، وأدى، بالتالي، الى خلق الاساس الموضوعي لكي تلعب الطبقة العاملة في هذه الحركة، رغم قلة عددها وضعفها وصغر حجمها، دور الطليعة والقيادة فيها». واستخلص الرفيق كريم أن حركة تناضل، باهدافها المرحلية، من اجل التحرر من النير الاستعماري المباشر، وباهدافها الاستراتيجية، من اجل التحرر من التبعية للامبريالية ولنظامها العالمي، هي، اذن « بالضرورة، حركة وطنية» وهي بحكم كونها تناضل من اجل التحرر الوطني والاجتماعي، أي من اجل التغيير الثوري، حركة «مستقلة عن البرجوازية تتكون من تحالف طبقات ثورية، تلعب فيه الطبقة العاملة دورا أساسيا». وبهدف اسناد وجهة نظرة هذه، استشهد الرفيق كريم بالنقاش الذي دار حول طبيعة حركة التحرر الوطني في المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية، مشيرا الى ان لينين قد أكد على الطابع والمحتوى الثوريين لهذه الحركة، بحيث «جرى تغيير اسم هذه الحركة من « حركة ديمقراطية برجوازية «الى حركة وطنية ثورية»، وذلك من منطلق أن الطبقة العاملة واحزابها «لا تستطيع

• اعادت «الطريق» في عددها الصادر في حزيران ١٩٨٦، نشر هذا المقال بعد أن أجرى الكاتب عليه تعديلات لا تمس جوهر النص الأول.

Digitized by Birzeit University Library

أن تقدم دعمها ل «حركات برجوازية تحررية» في البلدان المستعمرة والتابعة الا عندما تكون هذه الحركات ثورية حقا».

ومن جانبه، حاول الرفيق مهدي عامل تبيان الدافع الذي دفع الرفيق كريم الى اقامة التناقض، في طرحه للسؤال، بين حركة التحرر الوطني من جهة والحركة الثورية من جهة ثانية، حيث رأى بأن الذي حدد صيغة ذلك السؤال «هو فكر شيوعي معين ساد في الحركة الشيوعية العربية، أو في بعض فصائلها، وما يزال يسود في ممارسات عديدة. لذا وجب نقد هذا الفكر من موقع الضرورة التاريخية في أن يكون للحركة الوطنية التحررية قيادة ثورية هي القيادة البروليتارية، ونهج ثوري هو النهج البروليتاري». صحيح ان الرفيق كريم مروة قد ميز اهداف الحركة المرحلية عن اهدافها الاستراتيجية، الا أن تشديده على دور الطبقة العاملة القيادي في حركة التحرر الوطني وفي تطورها وعلى استقلال هذه الحركة عن البرجوازية من جانب، وطريقة تعبيره عن الموقف الذي وقفه لينين خلال نقاشات المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية، من جانب آخر، ومن ثم التوضيح الذي قدمه الرفيق مهدي لمغزى السؤال الذي طرحه الرفيق كريم، كل ذلك قد ترك الالتباس قائما حول طبيعة حركة التحرر الوطني.

فمن المعروف ان المسودة الاولية للموضوعات حول المسألة القومية والكولونيالية التي أعدها لينين، خلال أعمال التحضير للمؤتمر العالمي الثاني للأممية الشيوعية (موسكو، صيف العام ١٩٢٠)، لم تتحدث أبدا عن حركة «وطنية- ثورية» في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، وانما تحدثت عن حركة «برجوازية ديمقراطية». فعند صياغته لتلك المسودة، انطلق لينين من النتيجة التي كان قد توصل اليها - حتى قبل انتصار ثورة اكتوبر-، عند تحليله لظاهرة دخول الرأسمالية في مرحلتها الامبريالية، وهي أن جوهر الامبريالية يكمن في انقسام العالم الى أمم ظالمة وأمم مظلومة، وأن هذه الامم الاخيرة، وبخاصة شعوب المستعمرات وشبه المستعمرات، ستساهم موضوعيا في النضال الذي كانت تخوضه الحركة العمالية الثورية ضد الامبريالية ومن اجل انتصار الاشتراكية. وقد شدد لينين، في مسودة موضوعاته على الطبيعة «البرجوازية الديمقراطية» للحركة التحررية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة»، وحذر من مغبة صبغ «التيارات التحررية، البرجوازية الديمقراطية، بالصبغة الشيوعية»، داعيا الاممية الشيوعية الى تأييد « الحركات الوطنية البرجوازية الديمقراطية في المستعمرات والبلدان المتأخرة، شريطة أن تتجمع العناصر التي ستتكون منها غدا في جميع البلدان المتأخرة الاحزاب البروليتارية، الشيوعية لا بالاسم وحسب، وتتربى على ادراك واجباتها الخاصة، واجبات النضال ضد الحركات البرجوازية الديمقراطية في المستعمرات والبلدان المتأخرة» (التشديد من جانبي).

وخلال النقاش الذي دار في اللجنة الخاصة التي كلفها المؤتمر ببحث المسألة القومية والكولونيالية، عارض الشيوعي الهندي روي، انطلاقا من قناعته بأن البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة باتت تقف، بعد انتصار ثورة اكتوبر، على أعتاب الثورة الاشتراكية، وأن البرجوازية، في هذه البلدان، لا تقف موقفا مناهضا للامبريالية ولا تتمتع بتأييد الجماهير الشعبية الكادحة، عارض الحديث عن حركة تحررية برجوازية ديمقراطية في البلدان المستعمرة والتابعة، واقترح على لينين ابدال مصطلح «برجواري - ديمقراطي " بمصطلح «وطني-ثوري»، وذلك في كافة الفقرات الواردة في مسودته الاولية التي تدعو الاحزاب الشيوعية الى دعم وتأييد حركات التحرر الوطني . وقد وافق لينين بالفعل على اقتراح روي، وبدا، للوهلة الاولى، وكأنه

Digitized by Birzeit University Library

قدم تنازلا جوهريا للشيوعي الهندي، غير ان الامر لم يتعد، في الواقع، حدود قيامه بتقديم تنازل غير جوهري، وظل لينين متمسكا بالمنطلقات ذاتها التي انطلق منها عندما وضع اطروحات مسودته الاولية. (انظر في هذا المجال المساهمة التي قدمتها في الندوة التي نظمتها مجلة «الطريق» في الذكرى العاشرة بعد المئة لميلاد لينين، تحت عنوان : «الاسلوب اللينيني في معالجة المسألة القومية والكولونيالية». الطريق، العدد٥، تشرين الاول ١٩٨٠).

ففي ذلك الحين، كان لينين مقتنعا بأن النضال التحرري المعادي للامبريالية في البلدان المستعمرة والتابعة يستند الى «القومية البرجوازية التي تستيقظ لدى هذه الشعوب، والتي لا بد لها من ان تستيقظ، والتي لها مبرر تاريخي «(تقريره امام المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق، تشرين الثاني ١٩١٩). كما كان مقتنعا بأن كل حركة وطنية« لا يمكن أن تكون غير حركة برجوازية ديمقراطية»، لان الجمهور الاكبر من السكان في البلدان المتخلفة يتألف من الفلاحين الذين يمثلون العلاقات الرأسمالية- البرجوازية» بل واكثر من ذلك، كان يعتقد، في ذلك الحين، أنه «من الوهم التصور ان الاحزاب البروليتارية تستطيع ان تطبق في هذه البلدان المتأخرة الخطة الشيوعية والسياسية الشيوعية - اذا امكنها بوجه عام ان تنشأ في هذه البلدان - دون ان تكون على علاقات معينة مع حركة الفلاحين، ودون ان تؤيدها فعلا». (التقرير الذي قدمه لينين باسم اللجنة المختصة بالمسألة القومية والكولونيالية امام المؤتمر الثاني ٢٦ تموز ١٩٢٠). (التشديد من جانبي).

أي أن لينين لم يكن مقتنعا تماما أنذاك بان الحركة الوطنية التحررية هي من حيث طبيعتها الطبقية «حركة برجوازية ديمقراطية » فحسب، بل كان يتعاطى بحذر شديد مع ظاهرة نشؤ الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، ويرى، على عكس الشيوعي الهندي روى، أن عملية تأسيس مثل هذه الاحزاب وتحويلها الى احزاب جماهيرية، في بلدان يغلب عليها الطابع الفلاحي، ستكون عملية معقدة، وتحتاج الى جهود هائلة.

ولكن ماذا قصد لينين عندما أكد، في معرض تفسيره، امام المؤتمر العالمي الثاني، لمغزى استبدال مصطلح «برجوازي - ديمقراطي "بمصطلح« وطني - ثوري»، على انه لا يتوجب على الاممية الشيوعية تأييد الحركات التحررية البرجوازية في المستعمرات « الا في الحالات التي تكون فيها هذه الحركات ثورية حقا، وفي الحالات التي لا يعيق فيها ممثلو هذه الحركات نشاط الشيوعيين الهادف الى تربية وتنظيم جماهير الفلاحين والكادحين تربية ثورية وتنظيما ثوريا"؟ (التقرير الذي قدمه لينين باسم اللجنة المختصة بالمسألة القومية والكولونيالية).

يبدو لي ان لينين قد اراد، بقوله هذا، ابراز احدى افكاره بخصوص الطبيعة المزدوجة للبرجوازية في المستعمرات وشبه المستعمرات، فلينين، وعلى عكس روى الذي كان ينظر نظرة احادية الجانب الى هذه البرجوازية، كان يرى بأن لهذه البرجوازية طابعا تقدميا من جهة وطابعا رجعيا من جهة ثانية. فالبرجوازية في المستعمرات كانت، في نظره، تختلف عن البرجوازية في البلدان الامبريالية، من حيث مستوى تطورها، ومن حيث مواقفها وامكانياتها. ولانها كانت تعاني من الاضطهاد القومي بحكم السيطرة الاستعمارية على بلدانها، كانت تضطر الى الوقوف في وجه الامبريالية والمساهمة في النضال الرامي الى التخلص من نيرها. ونتيجة لمواقفها المناهضة للامبريالية هذه كانت تحظى بتأييد ومساندة الجماهير الشعبية. وهذا الطابع المناهض للامبريالية هو ما قصده لينين عندما اشار الى ان الاممية الشيوعية ستؤيد الحركات

Digitized by Birzeit University Library

البرجوازية التحررية «الثورية حقا». اما في الحالات التي يغلب فيها الطابع الرجعي على ممارسات البرجوازية، طابع مهادنة الامبريالية واعاقة النشاط الثوري المستقل للشيوعيين، فلا ينبغي على الاممية الشيوعية، في مثل هذه الحالات، ان تساندها.

- في ارتباط حركة التحرر الوطني ب الثورة الاشتراكية:

إن تأكيد الرفيق كريم مروة على ان انتصار ثورة اكتوبر اعطى محتوى جديدا لحركة التحرر الوطني، وجعلها تصبح، موضوعيا، جزءا من الثورة الاشتراكية، يحتاج، هو الاخر، الى وقفة. فالرفيق كريم يربط تأكيده على هذه الفكرة الصائبة باستخلاص مفاده ان انتصار ثورة اكتوبر «خلق الاساس الموضوعي لكي تلعب الطبقة العاملة في هذه الحركة، رغم قلة عددها وضعفها وصغر حجمها، دور الطليعة والقيادة فيها». وينتقد الرفيق مهدي عامل، من جانبه، اولئك الذين يعتقدون ان حركة التحرر الوطني ليست جزءا من الثورة الاشتراكية في تصادمها مع الامبريالية...، حتى لو كانت تلك الحركة، في جوهرها نفسه، اي في آليتها الداخلية، حركة بناء لعلاقات انتاج رأسمالية او حركة انعتاق من الاقطاعية».

وفي اعتقادي ان لينين عندما اشار، حتى قبل انتصار ثورة اكتوبر، الى ان حركة شعوب البلدان المستعمرة باتت تشكل جزءا من الثورة الاشتراكية، كان ينظر الى المسألة من منظار التطور الاستراتيجي على الصعيد العالمي، أي على صعيد تطور العملية الثورية العالمية، وليس على العملية الثورية في كل بلد من البلدان. ومن هنا كانت اشارته الى ان الثورة الاشتراكية لن تكون، لا كليا ولا بصورة رئيسية، عبارة عن نضال البروليتاريا الثورية، في كل بلد من البلدان ضد برجوازيتها، بل ستكون كذلك نضالا من قبل جميع المستعمرات والبلدان الباتت ضد الامبريالية. ولم يعتقد لينين ابدا بأن البلدان المستعمرة و التابعة باتت، بعد انتصار ثورة اكتوبر، على اعتاب الثورة الاشتراكية المباشرة، كما انه لم يطرح ابدا امام الاحزاب الشيوعية، في تلك البلدان، مهمات التحرر الاجتماعي، بل دعاها الى المساهمة الفعالة في النضال التحرري الذي كانت تخوضه شعوبها، بقيادة فئات غير بروليتارية، على طريق الانعتاق من نير السيطرة الاستعمارية. صحيح انه كان معنيا بضمان انتصار الاشتراكية، حتى في تلك البلدان المتخلفة من حيث مستوى تطورها الاقتصادي والاجتماعي، ولكنه لم يكن يرى سبيلا الى ذلك سوى انخراط الشيوعيين في النضال الوطني التحرري ضد الاستعمار الاجنبي، وتعاونهم، شريطة حفاظهم على استقلاليتهم التنظيمية والسياسية، مع كل القوى المنخرطة في هذا النضال بما فيها القوى البرجوازية*، طبعا لم يغب آنذاك عن ذهنه ان التحرر الكامل من علاقات التبعية للامبريالية لا يمكن انجازه الا بقيادة الطبقة العاملة وفي ظل الاشتراكية. غير انه كان يرى بان حركة شعوب

* في مؤتمرها العالمي الرابع (تشرين الثاني-كانون الاول ١٩٢٢)، طرحت الاممية الشيوعية شعار اقامة جبهة متحدة ومعادية للامبريالية توحد نشاط كل القوى المناضلة من اجل التحرر من نير السيطرة الاستعمارية، ودعت الشيوعيين الى التعاون، في النضال المعادي للامبريالية، ليس مع ممثلي البرجوازية فحسب، بل كذلك مع بعض ممثلي فئات الارستقراطية الاقطاعية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة التي لم يتفسخ فيها النظام الاقطاعي-البطريركي بعد، والتي لا زالت فيها تلك الفئات تلعب دورا نشطا في النضال ضد الامبريالية.

Digitized by Birzeit University Library

البلدان المستعمرة او شبه المستعمرة اذ تتجه، في البدء، وجهة التحرر الوطني، ستنقلب فيما بعد على الرأسمالية والامبريالية، بالارتباط مع تصاعد العملية الثورية العالمية.

ومع ذلك، يمكن القول بان لينين لم يكتف بالتأكيد على ان مهام التحرر الاجتماعي لن تطرح امام الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة الا بالارتباط مع انجاز مهام التحرر الوطني، بل حاول ان يفتح افقا جديدا امام هذه الاحزاب بديلا عن افق المساهمة في تمكين البرجوازية، بعد طرد الاستعمار الاجنبي، من تشييد نظامها الرأسمالي وتدعيم بنيانه. ففي المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية، وفي سياق مجموعة الافكار التي قدمها حول المسألة القومية والكولونيالية، طرح لينين، بالاستناد الى قانون التطور المتفاوت للرأسمالية والى ظاهرة ضعف التطور الرأسمالي في بلدان الشرق، موضوعته حول امكانية نجاح بلدان الشرق المستعمرة في قطع طريق التطور الرأسمالي والانتقال مباشرة الى الاشتراكية، خصوصا اذا ما استندت شعوب تلك البلدان الى دعم ومساندة البروليتاريا المنتصرة في البلدان المتقدمة. وبذلك اوجد لينين حلا للمعادلة الصعبة التي وقف امامها شيوعيو بلدان الشرق المستعمرة في ذلك الحين (اما الشيوعي الهندي (روى فقد عارض الموضوعة اللينينة الجديدة، مستغربا تبني لينين لافكار كان ينتقدها في الماضي في سجاله مع الشعبيين الروس). وفيما بعد طورت الاممية الشيوعية موضوعة لينين المشار اليها، وبرز مفهوم «التطور اللارأسمالي»، لأول مرة في عام ١٩٢٨، في التقرير الذي قدمه «كوسنين»، باسم اللجنة التنفيذية للكومنترن، أمام مندوبي المؤتمر العالمي السادس.

في موقع الطبقة العاملة في اطار حركة التحرر الوطني

انني اتفق تماما مع الرفيق مهدي عامل عندما يكتب بان بعض الاحزاب الشيوعية قد ارتكبت اخطاء فادحة عندما ظنت بان مرحلة التحرر الوطني هي مرحلة البرجوازية، وانه ليس على الطبقة العاملة بالتالي، بقيادة حزبها الثوري، ان تتصدى لمهمات ليست من مهمات ثورتها في مرحلة البرجوازية هذه. كما اتفق مع الذي توصل اليه من انه لا سبيل الى تحرر فعلي من الامبريالية الا بقطع لعلاقة التبعية البنيوية بها، وان العداء للامبريالية لا يكون بالفعل، متسقا، الا بما هو عداء للرأسمالية. ولكنني لا أتفق مع القول أن حركة التحرر الوطني هي حركة «مستقلة» عن البرجوازية. فاذا كانت مرحلة التحرر الوطني هي مرحلة الطبقة العاملة، فهي، في ذات الوقت، مرحلة البرجوازية، حين يغلب الطابع التقدمي، المناهض للامبريالية، على نشاط هذه الاخيرة. فالحركة الوطنية، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، هي حركة كل الطبقات التي تتضرر مصالحها من وجود وممارسات الاستعمار الاجنبي، والتي تجمعها بالتالي مصلحة مشتركة في التحرر من سيطرته. وفي اطار هذه الحركة، تنظر كل طبقة من الطبقات، المشاركة فيها، الى مسألة التحرر من منظار مصالحها الطبقية الخاصة، وتبلور، بالاستناد الى هذه المصالح بالذات، مشروعها في أن يكون هذا المشروع الخاص هو مشروع مجموع الحركة، غير أن الطبقة العاملة في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، حيث تسود العلاقات الاجتماعية المتخلفة بحكم تدني مستوى التطور الاقتصادي - الاجتماعي، لا يمكنها ان تطمح الى ضمان هيمنة مشروعها الخاص للتحرر، أو لنقل لا

Digitized by Birzeit University Library

يمكنها أن تساهم بتوفير الشروط التي تكفل أن يكون العداء للامبريالية عداء للرأسمالية، الا في حال مساهمتها النشطة في النضال الوطني ضد الاستعمار الاجنبي، حتى ولو كان يجري بقيادة البرجوازية. ان مثل هذه المساهمة هي المدخل والشرط المسبق لكي تتجه الحركة المناهضة للامبريالية فيما بعد في وجهة العداء للرأسمالية.

ان من الصعب التصور بأن الطبقة العاملة الفتية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة كانت قادرة على أن تضمن لنفسها موقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني. هذا في حين يعتبر الرفيق كريم مروة ان الطبقة العاملة الناشئة في البلدان العربية، وفي عدد من البلدان الأخرى، كان بامكانه ان تحتل مثل هذا الموقع، مستندا في ذلك الى حقيقة أن العصر الذي دشنته ثورة اكتوبر، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، قد خلق الظروف لذلك. واذا كان الرفيق كريم قد أشار الى عوامل موضوعية وذاتية حالت دون احتلال الطبقة العاملة الناشئة لموقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني، لاحظ الرفيق مهدي عامل، من جانبه، أن الذي حال دون تبوء الطبقة العاملة في البلدان العربية لهذا الموقع، وهو في نظره « موقعها الطبقي الطبيعي بحسب منطق هذه الحركة»، هي عوامل ذاتية فحسب، تمثلت في تبني أحزابها لنظرية «انتهازية» اعتبرت مرحلة التحرر الوطني هي مرحلة البرجوازية وانه ليس على الطبقة العاملة، بالتالي، أن تتصدى بقيادة حزبها الثوري لمهمات ليست من مهمات ثورتها.

ويحاول الرفيق مهدي اسناد الفكرة التي وردت في مقال الرفيق كريم على أن الطبقة العاملة في بعض البلدان المستعمرة والتابعة قد تصدت بنجاح للعب دورها القيادي في اطار حركة التحرر الوطني، مستشهدا بتجربتي الفيتنام والصين، ومؤكدا على انه «يكفي أن تصح النظرية الثورية مرة، أو أن تقيم الحركة الثورية البرهان التاريخي على صحتها وكونيتها (في الفيتنام مثلا، حيث تمكنت الطبقة العاملة بقيادة حزبها الثوري، من أن تقود العملية الثورية فيه في اطار من التحالف الطبقي الثوري، نجحت في أن تحتل فيه موقع الهيمنة الطبقية السياسية)، يكفي هذا حتى يكون الواقع النظري مقياس الواقع التجريبي، وحتى تكون الثورة، بالتالي، قابلة للتكرار، في شروط مختلفة هي شروط تميز كونيتها»... ولكن هل يكفي فعلا أن تنجح الطبقة العاملة الفيتنامية في الوصول الى قيادة الحركة الوطنية التحررية، وأن تقود النضال ضد الامبريالية، في سيرورة متواصلة وصولا الى ضمان انتصار الاشتراكية، هل يكفي هذا للقول بأن قيادة الطبقة العاملة الفتية لحركة التحرر الوطني في البلدان المستعمرة والتابعة كان أمرا ممكنا، وأن النموذج الفيتنامي كان قابلا للتكرار؟ لنتوقف قليلا عند هذه المسألة.

- في خصوصية التجربة الفيتنامية:

لقد تضافرت مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية، وأقول الموضوعية في الأساس التي مكنت الطبقة العاملة الفيتنامية وحزبها الثوري من احتلال موقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني، وجعلت، على حد تعبير الرفيق مهدي، من سيرورة التحرر الوطني سيرورة للانتقال الثوري الى الاشتراكية. في حين أن مجموعة أخرى من العوامل، الموضوعية كذلك في الاساس لم تمكن الطبقة العاملة، في الهند أو في مصر على سبيل المثال، من التحول الى طبقة مهيمنة في اطار حركة التحرر الوطني.

Digitized by Birzeit University Library

ففي المرحلة الأولى من مراحل تطور الحركة الوطنية الفيتنامية، لعب «المثقفون» المرتبطون بالمجتمع الاقطاعي التقليدي، أو على الأقل اولئك الذين لم ينحازوا منهم الى المستعمرين الفرنسيين، لعبوا دورا بارزا في قيادة حركة المقاومة. وكان الوجهاء في القرى والموظفون الكبار الوطنيون وحتى بعض العناصر المرتبطة بالبلاط وبالارستقراطية الاقطاعية، الى جانب الفلاحين، يدعمون الى حد كبير، كل «الانتفاضات» التي نظمها المثقفون التقليديون في محاولة منهم للتصدي لتقدم الوحدات العسكرية الفرنسية داخل البلاد. أما البرجوازية الفيتنامية الفتية فقد سعت، ومنذ السنوات الأولى من القرن العشرين، الى لعب دور سياسي بارز في اطار الحركة الوطنية المعادية للاستعمار الاجنبي، غير أن امكانياتها المادية الضعيفة لم تمكنها من ذلك، خصوصا وأنها لم تكن تحظى بدعم الجماهير الواسعة من الفلاحين، على عكس أسلافها من المثقفين التقليديين٥. فقد كانت البرجوازية الفيتنامية برجوازية «كسيحة»، بكل معنى الكلمة، لم تتمتع بأي من التسهيلات الاقتصادية التي استفادت منها، على سبيل المثال، البرجوازية الهندية في ظل السيطرة الانكليزية. ولم يهتم المستعمرون الفرنسيون أبدا بالعمل على أن يبرز من بين صفوفها «محاور» مناسب لهم، يكون من طراز حزب المؤتمر الوطني في الهند. ومن جهة أخرى، كانت السياسة القمعية التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسي في الفيتنام فريدة من نوعها من حيث وحشيتها وشموليتها. ففي عام ١٩٣٠، نجحت الحملة القمعية التي شنتها السلطات الفرنسية في القضاء على كل الاحزاب والحركات البرجوازية، ولم ينجُ من تلك الحملة، في ذلك الحين، سوى الشيوعيين، لقد كانت البرجوازية الوطنية الفيتنامية قد شكلت، في عام ١٩٢٥، حزبا سياسيا، على طراز حزب الكومينتانغ الصيني، حمل اسم «حزب الشعب الوطني» أو «الفيتنام كوك دان دانغ». وقد استطاع هذا الحزب ان يلعب في البدء دورا نشطا في الحياة السياسية في البلاد، غير أنه لم يعمر طويلا. اذ قامت السلطات الفرنسية بتصفيته بوحشية اثر اكتشافها، في عام ١٩٣٠، للانتفاضة الكبرى التي كان يعد لها حول مدينة «ين ـباي». وقد لجأ بعض قادة «حزب الشعب الوطني»، الذين أفلتوا من قمع السلطات الفرنسية، الى الصين المجاورة، ولم يرجعوا الى بلدهم الا في عام ١٩٤٥ بصحبة وحدات جيش الاحتلال الأجنبي التابع للكومينتانغ الصيني.

وبسبب ارتباطه بالكومينتانغ، ظل «حزب الشعب الوطني»، معزولا عن الجماهير الشعبية الفيتنامية، ولم ينجح في القيام بأي دور فعال في حياة البلاد السياسية. أما أحزاب البرجوازية الفيتنامية الأخرى، الأقل تأثيرا وفعالية، فلم يكن حظها أوفر من «حزب الشعب الوطني»، خصوصا وأنها التجأت مثله الى أحضان الأجنبي، بعضها التجأ الى الصين والبعض الآخر الى اليابان. وعلى هذا الأساس، نجحت الحركة الشيوعية الفيتنامية، والتي كانت في البدء حركة محدودة تقتصر على بعض دوائر المثقفين الثوريين والعمال في مدينتي هانوي وسايغون، نجحت في ملء الفراغ السياسي الذي نشأ، وتمكنت من احتلال موقع الحركات البرجوازية ومن جعل مشروع الطبقة العاملة الخاص للتحرر مشروعا لمجموع الحركة الوطنية الفيتنامية. وفي الواقع، استندت الحركة الشيوعية الفيتنامية الى طبقة عاملة واسعة، تميزت بكفاحية عالية. وتشكلت الغالبية العظمى من هذه الطبقة من البروليتاريا الحديثة التي كانت تعمل في مؤسسات الرأسمال

• g. CHESNEAUX, JEAN: LE VIETNAM, PARIS, MASPERO, 1972.

Digitized by Birzeit University Library

الكولونيالي الخاص (مصانع، مناجم، مزارع، عمال تفريغ البضائع في الموانىء) أو في مؤسسات الادارة الكولونيالية (سكك الحديد، مصانع الأسلحة)، كما تشكلت من الأعداد الغفيرة من عمال مزارع الكاوتشوك، المرتبطين كذلك بالرأسمال الأجنبي وبالانتاج الصناعي الكبير. أما عدد العمال الفيتناميين العاملين في المؤسسات التابعة للبرجوازية المحلية، فقد كان محدودا جدا. وبسبب هذه الخصوصية، كان النضال الذي خاضته الغالبية العظمى من الطبقة العاملة الفيتنامية ضد الرأسمال الكولونيالي نضالا اجتماعيا ووطنيا في ذات الوقت. ومنذ مطلع الثلاثينات، وقفت الطبقة العاملة الفيتنامية، بقيادة حزبها الثوري، في صدارة النضال ضد المستعمر الاجنبي، وذلك من خلال الاضرابات والمظاهرات الواسعة التي كانت تنظمها في مدينتي سايغون وهايفونغ، وفي مزارع الكاوتشوك، وفي الموانىء الصناعية الواقعة في أواسط البلاد. ولم يتحول الريف الى جبهة النضال الرئيسية، والكفاح المسلح الى شكل النضال الرئيسي، الا مع دخول جيوش الاحتلال الياباني الى الفيتنام.

- أين الواقع الفيتنامي من واقع بلداننا العربية؟

اذا حاولنا الآن أن نقارب النموذج المصري، من منطلق أن مصر كانت من أكثر البلدان العربية تقدما فيما يتعلق بمستوى التطور الاقتصادي - الاجتماعي، فماذا نكتشف؟...

لقد طمحت البرجوازية المصرية الناشئة، ومنذ تأسيس الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل وخلفه محمد فريد، الى احتلال موقع القيادة في اطار حركة المقاومة للاستعمار الاجنبي، وسعت، منذ وقت مبكر، الى نسج علاقات وثيقة مع الجماهير الشعبية الكادحة، وبخاصة مع العمال والفلاحين *. وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، شهدت مصر نهضة صناعية وتجارية، وتكونت ظروف جديدة ساعدت البرجوازية على تعزيز مواقعها وزيادة نفوذها الاقتصادي في المدن والأرياف. فقد أدت الحرب الى اغتناء العديد من التجار المحليين والى ظهور صناعات جديدة للغزل والنسيج والسجاير والزيوت . وتأسس في عام ١٩٢٠ بنك مصر، الذي اقدم على انشاء العديد من المؤسسات التجارية والصناعية الكبيرة (بلغت المودعات في هذا البنك ١٧ مليونا من الجنيهات في عام ١٩٣٨). ومع تزايد نفوذها الاقتصادي، صارت البرجوازية المصرية تطمح الى زيادة دورها السياسي في المجتمع المصري، مما فاقم في حدة التناقض بينها وبين الاستعمار الانكليزي .

لقد كان حزب الوفد، بزعامة سعد زغلول، المعبر السياسي الأبرز عن طموحات هذه البرجوازية الى التحرر من السيطرة الأجنبية وتحقيق استقلال البلاد. فقد تشكل هذا الحزب من عناصر تمثل الرأسمالية المحلية في المدن والريف، من التجار وأصحاب المصانع والمثقفين الوطنيين وأثرياء الفلاحين. وبفضل وقوفها في وجه الاستعمار الأجنبي ورفعها لشعارات معادية للامبريالية، نجحت قيادة الوفد في كسب تعاطف الجماهير الشعبية الواسعة. وباستنادها الى الجماهير الشعبية المصرية، استطاعت أن تجبر الاستعمار، ومنذ وقت مبكر، على تقديم بعض التنازلات للحركة الوطنية، تمثلت في الغاء الحماية الانكليزية على مصر، كما فرضت على القصر المعبر عن مصالح كبار الملاكين العقاريين في الأساس، وضع دستور للبلاد واقامة حكم نيابي.

* انظر : الشافعي، شهدي عطية: تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢-١٩٥٦، القاهرة، الدار المصرية للكتب، ١٩٥٧.

Digitized by Birzeit University Library

ورغم المواقف المهادنة التي كانت تقفها قيادة الوفد أحيانا، ودخولها في مساومات مع الامبريالية الانكليزية ومع القوى السياسية المعبرة عن مصالح كبار الملاك العقاريين كحزب الاحرار الدستوريين، الا أنها بقيت تضطلع بدور القيادة الرئيسية للحركة الوطنية المصرية، وبقيت الجماهير الشعبية تدعمها وتعود بها الى الحكم، وكان منطلق الجماهير الشعبية في ذلك قناعتها الراسخة بأنها تستطيع، من خلال الوفد، تحقيق بعض المكاسب، وكذلك ادراكها بأنه ما من بديل آخر في ذلك الحين لمثل هذه القيادة. صحيح أن الطبقة العاملة المصرية الفتية قد ساهمت في النضال الوطني التحرري منذ أيامه الاولى وصحيح أن حجمها قد اتسع وازداد مستوى تمركزها، وبخاصة بين صفوف عمال السكك الحديدية وعمال الترام وعمال مصانع السجاير ومصانع الغزل والنسيج، نتيجة النهضة الصناعية والتجارية التي شهدتها مصر في مطلع العشرينات، مما أدى الى رفع مستوى وعيها ومستوى تنظيمها، وبخاصة بعد قيام طليعتها السياسية وتشكيل اتحاد عام لتنظيماتها النقابية، الا أنها بقيت عاجزة عن لعب دور مستقل فاعل في النضال الوطني التحرري. وفي الواقع، لم تتح البرجوازية المصرية للطبقة العاملة فرصة القيام بلعب مثل هذا الدور، حيث شنت الحكومة الوفدية الأولى التي تزعمها سعد زغلول شخصيا، ومنذ ربيع العام ١٩٢٤، حملة قمعية وحشية أسفرت عن حظر الحزب الشيوعي المصري وحل الاتحاد العام لنقابات العمال، والحكم على زعماء هذين التنظيميين بالأشغال الشاقة، مستغلة في ذلك الحين، تلك المواقف التي تجلت في الحركة الاضرابية وحركة احتلال المصانع التي نظمها الحزب والتي وضعته وجها لوجه أمام « أبو الشعب » الذي أحرز حزبه، بفضل مواقفه المعادية للامبريالية والتفاف الجماهير حوله بالتالي، نصرا ساحقا في الانتخابات البرلمانية التي جرت في عام ١٩٢٣، اذ حصل على ١٨٨ مقعدا من أصل ٢١٥.

ولم تكتف قيادة الوفد آنذاك بتوجيه مثل تلك الضربة القاصمة لحزب الطبقة العاملة، والتي اثرت تأثيرا كبيرا على دوره اللاحق في الحياة السياسية المصرية بل سعت الى العمل المباشر في أوساط العمال المصريين وحركتهم النقابية. وبسبب ضعف طليعتها السياسية، ظلت قطاعات واسعة من الطبقة العاملة المصرية واقعة تحت التأثير المباشر للبرجوازية الوطنية المصرية.

- في دور البرجوازية في اطار حركة التحرر الوطني العربية:

في مرحلة اولى من مراحل تطور حركة التحرر الوطني العربية، لعبت الشرائح الكبرى من البرجوازية، و التي كانت تتحالف أحيانا مع بعض كبار الملاكين العقاريين غير المرتبطين بالاستعمار، الدور الرئيسي في قيادتها. وفي مرحلة النضال من أجل استكمال الاستقلال السياسي، صعدت الى قيادة الحركة الشرائح الصغيرة والوسطى من البرجوازية. وسأحاول، فيما يتبع، تحديد السمات التي ميزت كل مرحلة من هاتين المرحلتين .

فاذا عدنا، مرة أخرى، الى النموذج المصري، والذي يمكن أن يكون، في بعض سماته، قريبا، الى هذا الحد أو ذاك، من نماذج أخرى في بلدان المشرق العربي، لوجدنا أن البرجوازية الكبيرة، التي تشكلت من التجار وأصحاب الصناعات الوطنية وكبار المثقفين والمهنيين وأثرياء الفلاحين، بقيت تتبوأ موقع القيادة طوال فترة النضال ضد الاستعمار الأجنبي ومن أجل اقامة الدول المستقلة. وكانت هذه البرجوازية، كغيرها من البرجوازيات في البلدان المستعمرة وشبه

Digitized by Birzeit University Library

المستعمرة، ذات طبيعة مزدوجة. فهي، وبحكم معاناتها من السياسة الاستعمارية ومن سيطرة البرجوازية الاحتكارية الامبريالية على أهم مرافق البلاد الاقتصادية، كانت مضطرة الى الوقوف في وجه الامبريالية. ونتيجة لمواقفها المناهضة للامبريالية، حظيت بدعم ومساندة أوسع الجماهير الشعبية. غير أنها كانت من جهة أخرى، وكما رأينا في مثال مصر، مستعدة لمهادنة الامبريالية والدخول في مساومات مع كبار الملاكين العقاريين، المرتبطين مباشرة بالدوائر الاستعمارية، خصوصا وأن مصالحها الطبقية كانت تتداخل أحيانا مع مصالح هؤلاء الملاكين العقاريين الكبار. كما كانت هذه البرجوازية مستعدة لشن أقسى حملات القمع للحؤول دون بروز الطبقة العاملة، بقيادة حزبها الثوري، كطبقة مستقلة على مسرح الأحداث.

ان الواقع الموضوعي في بلداننا، والذي يصفه الرفيق كريم، بحق، بأنه واقع «شديد التعقيد من حيث مستوى التطور الاقتصادي - الاجتماعي، ومن حيث مستوى تكون الطبقات ونمو وعيها ودرجة التمايز والاستقطاب فيما بينها»، ان هذا الواقع هو الذي ضمن، في الأساس هيمنة هذه الطبقة واستمرارها في الاضطلاع بدور القيادة في اطار النضال الوطني التحرري ضد الاستعمار الأجنبي، وهو أيضا الذي أضعف تبلور الكيانية المستقلة للطبقة العاملة، وأبقاها واقعة تحت التأثير السياسي والايديولوجي للطبقات المستغلة (بكسر الغين) في المجتمع.

وعلى أعتاب تحقيق الاستقلال السياسي، لم يكن غريبا أن تنسلخ البرجوازية الكبيرة، حرصا على مصالحها الطبقية الخاصة، عن جسم حركة التحرر الوطني العربية وأن تغرط بمصالح شعوبها الوطنية والقومية. وبانسلاخ هذه الطبقة، بات موقع القيادة في اطار الحركة الوطنية التحررية العربية شاغرا، وطرح السؤال الكبير التالي : من سيقدر على ملء الفراغ الناشيء؟.. وقد بين تطور الأحداث أن الفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية هي التي نجحت في ملء الفراغ وتسلم قيادة الحركة، بفضل امتلاكها، في الأساس للأداة القادرة وحدها، في شروط تلك الفترة، على انجاز مهمة التغيير الثوري، وهي الجيش.

وفي فترة صعودها، أحرزت هذه القيادة الطبقية الجديدة لحركة التحرر الوطني العربية، بالاستناد الى الأنظمة الوطنية التي أقامتها، نجاحات كبيرة في النضال من أجل استكمال الاستقلال السياسي وضد مشاريع الأحلاف العسكرية الاستعمارية، كما قامت بتوجيه ضربات لمواقع الاقطاعيين وكبار الملاكين العقاريين وشرعت في التصدي لحل القضايا القومية، وبخاصة قضيتي الوحدة العربية والقضية الفلسطينية. وبتأثير الانجازات الكبيرة التي حققتها تجارب البناء الاشتراكي في بلدان المنظومة الاشتراكية، وبتأثير النضالات التي كانت تخوضها الأحزاب الشيوعية والجماهير الشعبية العربية من أجل ضمان التقدم الاجتماعي، سعت الفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية الى ربط مهام التحرر الوطني بمهام التحرر الاجتماعي في نضالات حركة التحرر الوطني العربية، وأقدمت على تحقيق عدد من الاصلاحات التقدمية التي ساهمت في تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي لبلدانها.

ثم جاء العدوان الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ ليبين محدودية الدور الذي يمكن أن تضطلع به فئات البرجوازية، الصغيرة والوسطى، في قيادة حركة التحرر الوطني العربية، وليكشف السلبيات الخطيرة التي كانت قائمة في بنيان أنظمتها. وفي ظل الصعوبات الكبيرة التي نجمت عن ذلك العدوان وفقدان القدرة على تجاوزها، بدأت تبزر، شيئا فشيئا، أزمة هذه الفئات، وتظهر من بين صفوفها أجنحة يمينية تنحو، أكثر فأكثر، في اتجاه الانسلاخ عن جسم حركة التحرر

Digitized by Birzeit University Library

الوطني العربية. وقد أدت الطفرة النفطية التي حصلت في أعقاب حرب تشرين الأول ١٩٧٣، وما تركته من تأثيرات سلبية على أوضاع الأنظمة الوطنية، الى تعميق هذه الأزمة وتكريس التوجه اليميني ومفاقمة دور الشرائح البيروقراطية والطفيلية التي سعت الى اعادة الاعتبار الى فئات البرجوازية الكبيرة والى اقامة تحالفات جديدة معها. وقد نجم عن ذلك كله وقف عملية السير على طريق التقدم الاجتماعي، بل والارتداد عنها، والتراجع، في بعض البلدان، عن سياسة العداء للامبريالية والدخول في مساومات معها على حساب قضايا النضال الوطني التحرري العربي.

في دور الطبقة العاملة وأحزابها في اطار حركة التحرر الوطني العربية:

من بين العوامل الذاتية التي حالت دون تمكن الطبقة العاملة وأحزابها الثورية في البلدان العربية من لعب الدور التاريخي المطلوب منها في قيادة حركة التحرر الوطني وفي تطورها، مما ضمن «استمرار البرجوازية، بأقسامها المختلفة، قبل الاستقلال وبعده، في قيادة هذه الحركة»، يشير الرفيق كريم مروة الى ظاهرة وقوع أحزاب الطبقة العاملة « في أخطاء فادحة حول المسألة الوطنية، مسألة الاستقلال، وحول المسألة القومية، لا سيما في الموقف من الوحدة ومن القضية الفلسطينية». كما يتوقف عند خطأ آخر وقعت فيه الأحزاب الشيوعية في مرحلة لاحقة، حين عجزت عن «تقدير موقع المسألة القومية التقدير السليم»، واتخذت موقفا سلبيا من القوى البرجوازية الصغيرة التي وصلت الى قيادة حركة التحرر الوطني العربية ومن الدور الثوري الذي لعبته •.

ومن جانبه، يؤكد الرفيق مهدي عامل، منطلقا من أن الموقع الطبقي الطبيعي للطبقة العاملة في اطار حركة التحرر الوطني هو موقع القيادة، بحسب منطق هذه الحركة، يؤكد على أن عدم وجود الطبقة العاملة في هذا الموقع هو «دليل على قصور تلك الطبقة وحزبها عن القيام بالدور الذي يوكله منطق التاريخ نفسه على كل منهما»، ملاحظا بأن الطبقة العاملة قد تنزلق ، في شروط تاريخية محددة، بنهجها وممارساتها، الى مواقع البرجوازية، وأن حزبها قد يقودها الى مثل هذا الانزلاق، وملمحا الى أن الطبقة العاملة في البلدان العربية قد انزلقت، في مرحلة معينة، الى مواقع البرجوازية «لا سيما في حقل المسألة القومية، بسبب من قصور حزبها عن صياغة نهجها الثوري المناهض لنهج البرجوازية الرجعي ».

لقد حاولت فيما سبق، عبر مقاربة التجربتين الفيتنامية والمصرية في مرحلة النضال من أجل الاستقلال السياسي، أن أبين الاختلاف الكبير بين الواقع المصري والواقع الفيتنامي، وأن اظهر بأنه كان يصعب، موضوعيا، على الطبقة العاملة في البلدان العربية، في شروط تلك المرحلة، أن تتبوأ موقع القيادة في أطار الحركة الوطنية التحررية العربية. ربما كان بامكانها أن تلعب دورا

• في الواقع يستعرض الرفيق كريم مجموعة من الأسباب التي حالت دون تمكن القوى البرجوازيه الصغيرة، التي وصلت الى قيادة حركة التحرر الوطني، من تحقيق مهمة التغيير الثوري: عدم الحسم في المسألة الأساس، مسألة القطع مع التطور الرأسمالي وفك التبعية للسوق الرأسمالية العالمية، التناقضات الداخلية، الذكر الانتقائي وأوهام الوقوف فوق الطبقات، التصادم مع الامبريالية ..... والرجعية. ويورد، في سياق تعداده لهذه الأسباب، الموقف السلبي الذي وقفته الأحزاب الشيوعية من هذه القوى.

Digitized by Birzeit University Library

أكثر فاعلية في اطار هذه الحركة، وقد تكون أخطابها قد وقعت في بعض الأخطاء في حقل المسألة الوطنية، غير أن تقرير ذلك لا يعني أبدا تجاهل العوامل الموضوعية التي عكست نفسها على مسيرة حركة التحرر الوطني العربية وعلى علاقات الطبقات التي انخرطت فيها وموازين القوى التي قامت فيما بينها. ولكي لا أبقى في حدود الاستخلاصات المجردة، سأعود مجددا الى دراسة التجربة الملموسة.

لقد قدم لنا تاريخ النضال الوطني التحرري العربي بعض التجارب المعبرة. لنأخذ الواقع الفلسطيني في سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها، الى حين وقوع «النكبة» في عام ١٩٤٨... لقد توفرت في تلك السنوات عوامل عديدة سمحت بزيادة دور الطبقة العاملة العربية الفلسطينية وطليعتها السياسية في اطار النضال الوطني المعادي للاستعمار والصهيونية. فقد أدت الحرب، وما تمخض عنها من تحولات، الى تزايد حجم الطبقة العاملة وتعاظم مستوى تمركزها وتصاعد نضالاتها الاقتصادية والسياسية، وانتعاش حركتها العمالية النقابية وتوسع صفوفها. والى جانب انتعاش الحركة العمالية العربية، شهدت فلسطين في ذلك الحين ظاهرة تنامي الاتجاهات التقدمية والديمقراطية في صفوف الطلبة والمثقفين العرب، وتشكل العديد من الحلقات الماركسية ومن النوادي السياسية والاجتماعية التقدمية. وصارت ادبيات الأحزاب الشيوعية العربية والاوروبية توزع في بعض المكتبات بصورة علنية. وكل هذه التطورات تركت تأثيرا ايجابيا مباشرا على نشاط الشيوعيين العرب الفلسطينيين، وأدت الى زيادة دورهم ونفوذهم في حياة البلاد السياسية.

وكان الشيوعيون العرب الفلسطينيون يناضلون، منذ عام ١٩٤٣، في اطار تنظيمي مستقل عن رفاقهم اليهود، حمل اسم «عصبة التحرر الوطني في فلسطين»، ولم يتطبع بطابع شيوعي صارخ، وانتهج نهجا صائبا في معالجته للمسألة الوطنية وفي فهمه لطبيعة العلاقة الجدلية بين الوطني والطبقي في نضال الطبقة العاملة التي تتصدى لحل مهمات التحرر من الاستعمار الأجنبي. ورغم ذلك كله، لم تنجح الطبقة العاملة في التحول الى الطبقة القائدة في اطار الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، وظلت قطاعات واسعة من الجماهير الشعبية، وسوادها الأعظم من الفلاحين، واقعة تحت التأثير السياسي والايديولوجي للقيادة التقليدية للحركة، التي كان يقف على رأسها مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني.

وحتى عندما نتحدث عن أخطاء وقعت فيها الأحزاب الشيوعية، أو بعضها، في حقل المسألة الوطنية، ينبغي علينا أن نحدد ماهية هذه الأخطاء بدقة، وأن نحلل الظروف الملموسة التي وقعت في ظلها، لا لكي نبررها، وانما لنستوعب حقيقة العوامل التي وقفت خلفها. فمثلا، ترك تأخر بعض الأحزاب الشيوعية في بلدان المغرب العربي في الانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي تأثيرات سلبية على نشاطها ودورها في اطار الحركة الوطنية التحررية في بلدانها. وحسب معرفتي، طمحت قيادات بعض هذه الأحزاب، منذ وقت مبكر، وسعت الى ضمان استقلالها التنظيمي عن الحزب الشيوعي الفرنسي، غير أنها لم تتمكن، في حينه، من تحقيق ذلك لأن اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية كانت متأثرة بمواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من هذه المسألة. واليكم مثالا آخر يدل على حجم التعقيدات التي كانت تنجم، في تلك الفترة، عن ارتباط الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية، كغيرها من الاحزاب الشيوعية في بلدان العالم، بمركز واحد -

Digitized by Birzeit University Library

هو الكومنترن-، كان يحدد من خلال مؤتمراته الدورية استراتيجية وتكتيك مجموع فصائل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية. فمن المعروف أن النهج الانعزالي الذي انتهجته الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية تجاه البرجوازية الوطنية، في الفترة الواقعة ما بين المؤتمرين العالميين السادس والسابع (١٩٢٨ - ١٩٣٥)، والذي تجسد في شعار «طبقة ضد طبقة»، أقول أنه من المعروف أن هذا النهج قد ترك تأثيرات سلبية كبيرة على نشاط هذه الاحزاب وأدى الى عزلها واضعاف مواقعها بين صفوف الجماهير الشعبية. غير أن المحلل لوثائق المؤتمر العالمي السادس للكومنترن يلاحظ بأن ممثل الحزب الشيوعي الفلسطيني، والذي تكلم أمام مندوبي المؤتمر باسم الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي، قد تحفظ على التوجهات الانعزالية التي تضمنها تقرير اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، انطلاقا من فشل تجربة التحالف بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب الكومينتانغ، معارضا تعميم التجربة الصينية على تجارب كل حركات التحرر الوطني في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، ومؤكدا على أن الاوضاع الملموسة في بلدان المشرق العربي تختلف اختلافا جذريا عن الأوضاع السائدة في الصين، وعلى أن حزب الوفد المصري هو حزب مختلف عن حزب الكومينتانغ. ولكن، ورغم التحفظ المشار اليه، تبنت الأحزاب الشيوعية في بلدان المشرق العربي التوجهات الانعزالية التي أقرت في المؤتمر العالمي السادس للكومنترن، وكان ما كان.

واذا انتقلنا الآن الى الفكرة القائلة بأن أحزاب الطبقة العاملة قد وقعت في «أخطاء فادحة» في حقل المسألة القومية، ولا سيما في قضية الوحدة العربية والقضية الفلسطينية، وحاولنا أن نرى مدى توافق هذه الفكرة مع الوقائع والمواقف، فماذا نجد؟

ربما لا يتسع هنا المجال للقيام بمراجعة شاملة لمواقف الحركة الشيوعية في البلدان العربية من قضية الوحدة العربية. غير أنه يمكن القول، ودون أى مبالغة، بأن الشيوعيين في البلدان العربية كانوا من بين المبادرين الأوائل، ومنذ مطلع العشرينات، الى طرح قضية الوحدة العربية على جدول أعمال أحزابهم، والى الدعوة الى النضال ضد تكريس واقع التجزئة الذي فرضته القوى الامبريالية على الشعوب العربية، وكانوا السباقين، عند اندلاع ثورة الريف في مراكش، الى النظر الى قضية الوحدة العربية من منظار شمولي، باعتبارها وحدة ينبغي أن تجمع الشعوب العربية في مشرق العالم العربي ومغربه على السواء. وكان شعار وحدة النضال القومي العربي المعادي للامبريالية واقامة اتحاد عربي للشعوب العربية من أبرز الشعارات التي رفعها الشيوعيون في بلدان المشرق العربي في سنوات الثلاثينات. فعلى سبيل المثال، لا الحصر، تضمن مشروع برنامج الحزب الشيوعي المصري الذي طرحته اللجنة المركزية للحزب في عام ١٩٣١ دعوة واضحة الى تحرير الشعوب العربية من نير الامبريالية واقامة اتحاد عربي شامل، وذلك في الوقت الذي كان فيه حزب البرجوازية الوطنية المصرية، الوفد، مغرقا في مواقفه القطرية على قاعدة شعار «القومية المصرية».

وقد أصبحت معروفة على نطاق واسع الوثيقة التاريخية التي أقرها ممثلو الحزبين الشيوعيين في فلسطين وسوريا في عام ١٩٣١ تحت عنوان «مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية"، تلك الوثيقة التي اعتبرت بأن طموح الجماهير الشعبية العربية الى الوحدة القومية، وعلى الرغم من واقع التجزئة الاستعمارية، يبقى طموحا تاريخيا مشروعا، ودعت الشيوعيين الى النضال من أجل الاستقلال الوطني لبلدانهم ومن اجل وحدتها القومية ليس فقط ضمن حدود

Digitized by Birzeit University Library

التجزئة، بل على النطاق العربي الشامل.

وفي مرحلة ما بعد الاستقلال السياسي، بقي الشيوعيون في البلدان العربية أوفياء لمواقفهم المبدئية تجاه قضية الوحدة العربية. صحيح أنه قد أبديت تحفظات معينة عند قيام الوحدة بين مصر وسوريا في شباط ١٩٥٨، الا أنها كانت تحفظات على الاسلوب الذي تمت فيه تلك الوحدة وليس على مبدئها. واذا كانت بعض القوى القومية قد نجحت آنذاك في تشويه حقيقة الموقف الذي وقفه الشيوعيون، مما ترك تأثيره المباشر على مواقعهم بين صفوف الجماهير الشعبية التواقة الى الوحدة، فان تجربة الحياة نفسها قد جاءت فيما بعد لتبين ان تحذيرات الشيوعيين من المحاولات التي جرت آنذاك لاستغلال شعار الوحدة في تصفية الحياة الديمقراطية وضرب القوى التقدمية وجعله ستارا لطمس التناقضات الطبقية، كانت تحذيرات مبررة وفي محلها، ولتظهر بأن الانفصاليين الحقيقيين وأعداء الوحدة العربية لم يكونوا أبدا من الشيوعيين.

وحتى بعد وقوع الانفصال وفشل التجربة الوحدوية الأولى، بقي الشيوعيون في البلدان العربية يدعمون، بالاستناد الى موقفهم المبدئي اياه، كل المحاولات التي كانت تتم لاقامة وحدة بين قطرين عربيين أو أكثر. ذلك كان موقفهم في عام ١٩٧٠ عند اعلان دستور اتحاد الجمهوريات العربية (مصر، سوريا، ليبيا)، وكذلك موقفهم في عام ١٩٨٠ حين توجه قادة سوريا وليبيا الى اقامة وحدة اندماجية بين البلدين. غير أنهم ظلوا، في ذات الوقت يصرون على ضرورة أن تتم الوحدة العربية باسلوب ديمقراطي، وأن تستند الى اوسع الجماهير الشعبية وقواها الوطنية والتقدمية، وان تراعي خصائص كل بلد ومستوى تطوره الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وان تشكل خطوة على طريق التقدم الاجتماعي وأن تقوم على أساس سياسة العداء الحازم للامبريالية.

واليوم، وفي ظل سيادة التوجهات القطرية، حتى داخل الأحزاب القومية نفسها، ونزعة التقوقع في اطار الكيانات المحلية تبرز الحركة الشيوعية والعمالية في البلدان العربية، عبر أشكال التنسيق والتعاون المختلفة القائمة فيما بين فصائلها، والتي يمكن وينبغي أن تتطور أكثر فأكثر، تبرز باعتبارها القوة السياسية القادرة على أن تجسد، في توجهاتها وممارساتها، طموح الشعوب العربية الى الوحدة القومية القائمة على أسس مبدئية سليمة.

هذا عن الموقف من قضية الوحدة العربية، وماذا عن الموقف من قضية فلسطين؟..

يمكن القول، في هذا المجال، أيضا، بأن الشيوعيين كانوا المبادرين، في مطلع الأربعينات، الى المطالبة باستقلال فلسطين والى طرح شعار حق الشعب العربي في تقرير مصيره بنفسه، باعتبار أن القضية الفلسطينية هي، في جوهرها، قضية شعب يناضل من أجل ضمان استقلاله الوطني وتحرره من نير السيطرة الاستعمارية. كما كانوا المبادرين الى كشف حقيقة الترابط العضوي بين الامبريالية من جهة والحركة الصهيونية من جهة ثانية، والى فضح تواطؤ الرجعية العربية مع الاستعمار في التآمر على الشعب العربي الفلسطيني. وهم كانوا أول من طرح، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وما نجم عنها من تطورات، حلا واقعيا للقضية الفلسطينية تمثل آنذاك بالدعوة الى اقامة دولة ديمقراطية مستقلة في فلسطين تكفل حقوق جميع سكانها من العرب واليهود. كما كانوا أول من نبه الى مخاطر بعض السياسات الخاطئة، التي انتهجتها القيادة التقليدية للحركة الوطنية العربية في فلسطين، والتي كانت تساهم، بشكل أو بآخر، في الدفع باتجاه تقسيم

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين.

أما اذا كان المقصود بالخطأ الفادح الذي ارتكبه الشيوعيون تجاه قضية فلسطين موافقتهم في عام ١٩٤٨ على قرار هيئة الامم المتحدة الداعي الى تقسيم فلسطين، فقد جاءت تطورات الأحداث، بما فيها تلك التي نشهدها في هذه الايام، لتبين كم كان الشيوعيون على صواب، وليس على خطأ، عند موافقتهم على ذلك القرار. صحيح أن القرار المذكور كان مجحفا، الى حد كبير، بحق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه، وصحيح أنه لم يقدم الحل الأمثل للقضية الفلسطينية، غير أن الصحيح كذلك هو أن البديل الواقعي عن قرار الأمم المتحدة، في تلك الأوضاع التي أوصلت اليها الامبريالية والصهيونية والقيادات الموالية للاستعمار في العالم العربي، كان كارثة حقيقية تنتظر الشعب الفلسطيني. ففي عام ١٩٤٨، لم تكن المعادلة المطروحة أمام الشعب الفلسطيني: أما الحفاظ على كل فلسطين واقامة دولة عربية فوقها وأما القبول بقرار تقسيم فلسطين الى دولتين، واحدة عربية وأخرى يهودية بل كانت المعادلة المطروحة أمامه هي التالية: اما القبول بقرار التقسيم واما الا قتلاع عن الوطن والتشرد والحرمان من الحق في تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ولكن، قد يقال بأن الشيوعيين، بموافقتهم آنذاك على قرار التقسيم وسباحتهم ضد التيار، قد عزلوا أنفسهم عن قطاعات واسعة من الجماهير الشعبية لم تكن في وضع يسمح لها بتقبل موقفهم ذاك. فهل انعزل الشيوعيون فعلا ؟

صحيح أن الرجعية العربية الحاكمة، والضالعة في التآمر على القضية الفلسطينية، قد شنت حملة قمعية شعواء عليهم، ونجحت أحيانا في تشويه حقيقة مواقفهم، غير أن هناك من الدلائل ما يشير الى أن الجماهير الشعبية لم تتأخر كثيرا عن استيعاب حقيقة الدوافع التي دفعت الشيوعيين الى الموافقة على قرار الهيئة الدولية. ألم تكن الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٥٤-١٩٥٦ « فترة ذهبية» في تاريخ الحزب الشيوعي الأردني وفي تاريخ الحزب الشيوعي السوري - فترة الانجازات الكفاحية الكبيرة والارتباط الوثيق بالجماهير - وذلك رغم موافقة الحزبين المذكورين على قرار تقسيم فلسطين.

لقد كان من المنطقي التفكير بأن المرحلة الجديدة التي دخلتها حركة التحرر الوطني العربية، بعد صعود الفئات البرجوازية الصغيرة والوسطى الى قيادتها وسيرها على طريق ربط مهام التحرر الوطني بمهام التحرر الاجتماعي، ستشهد تناميا ملموسا في دور الطبقة العاملة وأحزابها الثورية، خصوصا وأن الاصلاحات التقدمية التي تحققت، والتي أدت الى توسع حجم الطبقة العاملة وتزايد مستوى تمركزها، كان من المفترض فيها أن تساهم في زيادة الوزن النوعي للطبقة العاملة في المجتمع. كما كان من المنطقي التفكير بأن تلك المرحلة الجديدة ستشهد تعاونا وثيقا بين الأحزاب الشيوعية والقوى السياسية الممثلة للفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية في النضال من أجل حل المهمات المشتركة، مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية.

وقبل أن يتكرس تماما دور الفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية، وتتضح مع مشروعها السياسي والايديولوجي - كما عبرت عنه أصدق تعبير التجربة الناصرية -، حققت أحزاب الطبقة العاملة، في عدد من بلدان المشرق العربي، نجاحات بارزة في مجال توثيق صلاتها بالجماهير الشعبية وفي مجال النضال من أجل استكمال الاستقلال السياسي والتصدي لمشاريع الأحلاف العسكرية الاستعمارية ومن أجل الديمقراطية. غير أن هذا الاتجاه، نحو تعزيز مواقع أحزاب

Digitized by Birzeit University Library

الطبقة العاملة وزيادة دورها في الحياة السياسية لبلدانها وفي اطار حركة التحرر الوطني العربية، ما لبث أن توقف ودخلت هذه الأحزاب، منذ ذلك الحين، في طور صعب، لا تزال تعاني، بهذا الشكل أو ذاك وبتفاوت بين هذا البلد أو ذاك، من آثاره وانعكاساته.

ويحاول الرفيق بشير البرغوثي، في مقال له بعنوان: « بعض السمات الاستثنائية لحركة التحرر العربية »(الكاتب المقدسية، العدد ٨٣، آذار ١٩٨٧)، أن يجتهد في تحديد بعض سمات تلك المرحلة، فيشير الى أن الفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية، وان كانت أكثر حزما في خوف من حركة الجماهير الكادحة ودورها المستقل، وبسبب ضآلة تجربتها الثورية «لم تدخل تعديلات كبيرة على أيديولوجية أسلافها، بل واصلت تبني الكثير من المواقف والأساليب التي كانت لسلفها البرجوازي». وهذا ما انعكس على سياساتها وممارساتها، حيث سعت الى لجم الصراع الطبقي تحت شعار «اللاحزبية» ومنع قيام التنظيمات الجماهيرية الديمقراطية، وقامت بفبركة قيادة وحركة نقابية على أساس انكار وجود الصراع الطبقي. وحتى حينما جرى الاعتراف بوجود طبقات، وأقر مبدأ التمثيل بنسبة ٥٠٪ بالمئة للعمال والفلاحين، كما حصل في مصر، عين معظم نصيب العمال في هذا التمثيل من غير العمال. ويتوقف الرفيق بشير البرغوثي مطولا، أمام التأثيرات السلبية التي تركتها ظاهرة تحول الجيش الى أداة للتغيير، الذي تحقق في معظم أقطار بلدان حركة التحرر الوطني العربية، على أوضاع الحركة الجماهيرية، مؤكدا على أن تحقق التغيير في ظل معارضة قيام ونشاط الأحزاب السياسية، وفي ظل غياب الديمقراطية السياسية بمعناها الواسع، قد رسخ في وعي أوساط واسعة من الجماهير الشعبية في البلدان العربية القناعة بأن التغيير التقدمي على غرار ما جرى في مصر، لا يتحقق الا من خلال الجيش والانقلابات العسكرية. وقد عكست هذه القناعة نفسها على عدد من الأحزاب السياسية، حين وافقت على حل تنظيماتها. ويستخلص الرفيق بشير بأن هذا الوضع لم يساعد على اغناء التجربة الثورية للجماهير ولا على تعميق وعيها السياسي، بل هو ساهم في تحويل الجماهير الى مستقبل للقرارات الفوقية، واختصر العمل السياسي في أجهزة واجراءات بيروقراطية. وفي مثل هذا الوضع، كان من الطبيعي أن تواجه القوى الثورية، بما فيها أحزاب الطبقة العاملة، مصاعب جدية في التحول الى قوى جماهيرية فاعلة. كما كان من الطبيعي أن لا يلاقي الارتداد عن الاصلاحات التقدمية، ونهج المساومة مع الامبريالية، الرد الجماهيري المطلوب. غير أن الرفيق بشير لم يعالج في الواقع سوى جانب المسألة. أما جانبها الاخر، فسأحاول، من جهتي، الاجتهاد في مقاربته.

وفي هذا السياق، أتفق مع الرفيق كريم مروة في قوله أن أحزاب الطبقة العاملة قد أخطأت عندما اتخذت موقفا سلبيا من الفئات البرجوازية الصغيرة والوسطى، التي وصلت الى قيادة حركة التحرر الوطني العربية، ومن الدور الثوري الذي لعبته في فترة صعودها وفي اعتقادي فان هذا الخطأ كان يرجع، مرة أخرى، الى عدم ادراك واضح للطبيعة المزدوجة لهذه الفئات من البرجوازية، بحيث لم يجر التمييز بين جانب «المالك» في شخصيتها وبين جانب «المستغل » (بفتح الغين).

ومن منطلق النظر نظرة أحادية الجانب الى دور هذه البرجوازية، جرى التشكيك سلفا، في البدء، بقدرة فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى على الاضطلاع بدور ثوري في النضال ضد الامبريالية ومن اجل استكمال الاستقلال السياسي وتحقيق الاصلاحات التقدمية، وذهب البعض

Digitized by Birzeit University Library

بعيدا في تقديراته الى حد اتهام ممثلي هذه الفئات بالتواطؤ مع الامبريالية والزعم بأنهم لا يختلفون في شيء عن ممثلي فئات البرجوازية الكبيرة. ثم انقلبت الآية، وبخاصة بعد تحقيق عدد من الاصلاحات التقدمية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

ولكن النظرة، وان اختلفت، ظلت أحادية الجانب. فبتأثير بعض التصورات التي كانت سائدة في اطار الحركة الشيوعية والعمالية العالمية حول آفاق تطور بلدان حركة التحرر الوطني، وبالاستناد الى الموضوعة اللينينية حول امكانية تجاوز طريق التطور الرأسمالي، أو قطع تطور الرأسمالية، في بعض بلدان الشرق (تلك الموضوعة التي لم تزكها الحياة فيما بعد الا في بعض البلدان التي تسلمت السلطة فيها الطبقة العاملة بقيادة أحزابها الثورية)، أقول أنه بتأثير تلك التصورات، وبالاستناد الى تلك الموضوعة، صار يشاع بأن الاصلاحات التقدمية التي تحققت ستؤدي الى قطع تطور الرأسمالية، وأن دولة «الديمقراطية الوطنية» ستشكل بالتالي الأداة التي تضمن الانتقال الى الاشتراكية. وطالما أن الانتقال الى الاشتراكية سيتم بقيادة الفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية، ذهب البعض، مرة أخرى، بعدا في تقديراته الى حد الاعتقاد بأن الحاجه الى وجود حزب مستقل للطبقة العاملة قد انتفت، ولم يتوقف الأمر عند هذه الحدود، بل صارت الأحزاب الشيوعية، التواقة الى تكريس نهج التقدم الاجتماعي، تعتبر أن الديمقراطية الحقيقية هي تلك التي تتجسد في المضمون الديمقراطي للاصلاحات التقدمية، وتنظر الى الديمقراطية السياسية باعتبارها شكلا «برجوازيا غربيا» من أشكال ممارسة الديمقراطية، لا يتلاءم مع التجارب الثورية الجديدة في بلدان «العالم الثالث». ولم تدرك هذه الأحزاب، في حينه، حقيقة أن الاصلاحات التقدمية نفسها ستبقى مهددة بالضياع ما لم تتحقق بالاستناد الى الجماهير الشعبية، وما لم توفر للجماهير الفرص والامكانيات للدفاع عنها وحمايتها. ويمكن القول بأن هذا الموقف الخاطىء الذي وقفته الأحزاب الشيوعية من مسألة الديمقراطية السياسية قد ساهم ولو بشكل غير مباشر، في تكريس نهج مصادرة الحريات السياسية للجماهير وفرض الوصاية على دورها، وعكس نفسه سلبا على أوضاع الحركة الجماهيرية وعلى موقع الاحزاب الشيوعية في اطارها.

في أزمة حركة التحرر الوطني العربية:

قبل شروعي بكتابة هذا البحث، طرحت على نفسي السؤال الكبير التالي: هل كان بمقدور حركة التحرر الوطني العربية، في الظروف الملموسة التي نشأت وتطورت في كنفها، أن تنحو في منحى غير المنحى الذي سارت عليه؟ والان يمكنني الاجابة على هذا السؤال بالقول بأنه كان يصعب، لعوامل موضوعية في الاساس، ان تنحو حركتنا في غير المنحى الذي سارت عليه.

فقد كانت البرجوازية هي الطبقة الوحيدة المؤهلة لقيادة الحركة الوطنية التحررية العربية في مرحلتها الاولى، مرحلة النضال من اجل الاستقلال السياسي. وعندما لم تدرك احزاب الطبقة العاملة هذه الحقيقة، وانتهجت نهجا انعزاليا تجاه هذه البرجوازية، عزلت نفسها عن اقسام واسعة من الجماهير الشعبية. واذا استعدت هنا موضوعة الرفيق مهدي عامل حول العلاقة بين الواقع التاريخي الفعلي لحركة التحرر الوطني وبين مفهومها النظري، يمكنني القول أنني اجد،

Digitized by Birzeit University Library

على عكس الرفيق مهدي، أن حركة التحرر الوطني العربية في مرحلة النضال ضدالوجود الاستعماري المباشر، كانت في واقعها التاريخي الفعلي، أي في ظل قيادة البرجوازية، متسقة مع مفهومها النظري، أو لنقل مع مفهومها النظري كما أفهمه (اذ أنني اختلف مع الرفيق مهدي، وكما لاحظ القارىء، حول هذه النقطة). بل يمكنني أن أذهب الى أبعد من ذلك، في هذا السياق، لاقول بأن حركة التحرر الوطني الفيتنامي في مرحلة النضال ضد الوجود الاستعماري الفرنسي المباشر، لم تكن في واقعها التاريخي الفعلي، أي في ظل قيادة الطبقة العاملة، متسقة مع مفهومها النظري. طبعا ان قيادة الطبقة العاملة الفيتنامية، من خلال حزبها الثوري، لسيرورة التحرر الوطني، منذ مراحلها الاولى وصولا الى الانتقال الى الاشتراكية، قد جاءت لتؤكد فكرة، لا خلاف عليها، وهي القائلة بأن التحرر الكامل، بما يعنيه من قطع لعلاقة التبعية للامبريالية، لا يمكن أن يتحقق الا في ظل قيادة الطبقة العاملة. غير أن هذه الفكرة الصائبة لا تعني أبدا أنه طالما نجحت الطبقة العاملة في كل البلدان التي تجابه مهمات المرحلة ذاتها باتت قادرة على تبؤ الموقع القيادي في اطار حركة التحرر الوطني. فالعوامل التي ضمنت وصول الطبقة العاملة الفيتنامية الى قيادة الحركة، والتي أشرت اليها سابقا، كان يصعب أن تتجمع كلها في أي بلد آخر.

وكما كانت البرجوازية هي الطبقة الوحيدة المؤهلة، في مرحلة النضال من اجل الاستقلال السياسي، لقيادة حركة التحرر الوطني العربية، فان فئاتها الصغيرة والوسطى كانت هي كذلك وحدها المؤهلة لتبؤ موقع القيادة في اطار الحركة في مرحلة النضال من اجل استكمال الاستقلال السياسي، كونها كانت تمتلك وحدها أداة التغيير الثوري، أي الجيش. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن المحاولات التي جرت لاجراء التغيير الثوري، دون الاستناد الى الجيش، لم تتكلل بالنجاح في ذلك الحين. ألم تسع القوى البرجوازية الصغيرة والوسطى في الاردن، بالتحالف مع حزب الطبقة العاملة، الحزب الشيوعي الاردني، الى اجراء تغيير ثوري في عام ١٩٥٥-١٩٥٦، استنادا الى الحركة الشعبية في الاساس، ونجحت حتى ايصال ممثليها الى البرلمان والى الحكومة، وذلك قبل أن تتمكن القوى الرجعية، التي بقيت تسيطر على الجيش، من تسلم زمام المبادرة من جديد وتنظيم انقلاب نيسان ١٩٥٧ على حكومة سليمان النابلسي الوطنية ؟.

لقد برزت الازمة في حركة التحرر الوطني العربية عندما تبين، بشكل جلي، أن مشروع «التحرر» الخاص بالفئات الصغيرة والوسطى من البرجوازية، التي انفردت بالسلطة في بعض البلدان وتبوأت موقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني العربية، أقول برزت الازمة عندما تبين عجز هذا المشروع عن حل مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية. واذ اختبر التاريخ مشاريع البرجوازية العربية، بأقسامها المختلفة، وحكم عليها بالفشل، فقد انفتح الافق بالتالي أمام الطبقة العاملة لكي «تختبر» مشروعها الخاص للتحرر، الذي اختبرته الحياة في شروط بلدان اخرى، وتجعل منه مشروعا لمجموع حركة التحرر الوطني العربية. ويمكن القول بأن ظاهرة تحول القوى البرجوازية الصغيرة، بما فيها قوى وصلت الى السلطة، الى مواقع أحزاب الطبقة العاملة - تلك الظاهرة التي ترافق ظهورها مع بروز الازمة في حركة التحرر الوطني العربية -، كانت تعبيرا ساطعا عن ادراك هذه القوى البرجوازية الصغيرة لفشل مشروع طبقي معين، وتلمسها الحاجة الى مشروع طبقي من نوع آخر.

غير أن فشل مشروع «التحرر» الخاص بالفئات البرجوازية الصغيرة والوسطى لا يعني أبدا أن هذه الفئات قد استنفذت طاقاتها الثورية، ولا يعني أن الحاجة الى مشاركتها (مشاركتها

Digitized by Birzeit University Library

وليس انفرادها) في قيادة حركة التحرر الوطني العربية قد انتفت. صحيح أن شريحة محددة، كانت ترجع باصولها الطبقية، في الماضي، الى هذه الفئات، قد انتقلت اليوم، بفعل نهج الارتداد اليميني، الى مواقع البرجوازية الكبيرة وانسلخت بالتالي عن جسم حركة التحرر الوطني العربية، الا ان السواد الاعظم من البرجوازية الصغيرة، وحتى الوسطى لا يزال معنيا بالثورة الوطنية الديمقراطية وبانجاز مهماتها. ومن هنا تنبع ضرورة وجود تحالف طبقي، هو الحركة الوطنية التحررية ذاتها التي ضاقت قاعدتها الاجتماعية قليلا، يجمع الطبقة العاملة مع ممثلي ذاك السواد الاعظم من البرجوازية الصغيرة، وحتى الوسطى، في النضال من اجل مواصلة السير على طريق انجاز مهمات الثورة الوطنية الدمقراطية.

كما ان انفتاح الافق التاريخي امام الطبقة العاملة لكي تختبر مشروعها الخاص للتحرر لا يعني أبدا ان الطبقة العاملة باتت في وضع يسمح لها بتبوؤ موقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني العربية. فما أعنيه بانفتاح الافق التاريخي امام مشروعها الخاص هو انه قد تشكلت ظروف، وبخاصة بعد ان تلمست الجماهير بتجربتها الملموسة فشل مشاريع البرجوازية بأقسامها المختلفة، تساعد على انحياز أقسام أوسع فأوسع من الجماهير الشعبية الشعبية الى مشروع التحرر الخاص بالطبقة العاملة.

وطالما أنني انطلق من أن الطبقة العاملة ليست في وضع يسمح لها بعد بتبوؤ موقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني العربية، فانني، من هنا، اختلف مع الرأي القائل بأن أزمة حركة التحرر الوطني العربية هي في أحد وجهيها أزمة القيادة البرجوازية وفي وجهها الاخر أزمة «البديل الثوري». او، كما يكتب الرفيق مهدي عامل، أن الازمة الفعلية في « حركة التحرر الوطني وفي قيادتها هي، بالتحديد، أزمة هذا النقيض الطبقي الثوري، نقيض البرجوازية». فالطبقة العاملة لم تكن مؤهلة، لا في الامس ولا اليوم، لتبوؤ موقع القيادة في اطار حركة التحرر الوطني العربية، ولم تتح للجماهير الشعبية بعد فرصة الحكم على نجاح او فشل مشروعها الخاص للتحرر، حتى نقول بأنها أحد وجهي الازمة، وأن الازمة هي أزمتها «في قصور حزبها عن تحديد النهج الثوري السليم ».٥

---

٥ لقد كان الرفيق كريم مروة، في اعتقادي، اقرب كثيرا الى الواقع، من الرفيق مهدي، عندما شخص شكل تجلي الأزمة بالمظاهر الرئيسية التالية:

١) العجز عن الاستمرار في المحاولات التي قامت بها قوى ثورية من فئات اجتماعية مختلفة، برجوازية صغيرة بمعظمها، وحققت فيها انجازات وطنية وتحويلات اجتماعية، والعجز عن تطويرها وحتى المحافظة عليها.

٢) الضعف في حركة الجماهير وطغيان العفوية فيها.

٣) تعمق ازمة الديمقراطية بجوانبها المختلفة.

٤) استمرار حالة من ضعف النشاط الفكري والايديولوجي لدى الماركسيين وسائر الثوريين من اجل دراسة الواقع الموضوعي في حركة تطوره ودراسة وتحليل الظاهرات التي تبرز خلال هذه العملية واستخلاص الاستنتاجات الضرورية.

Digitized by Birzeit University Library

في التمييز بين الموقع الطليعي والموقع القيادي للطبقة العاملة في اطار التحالف الطبقي :

ان الرفيق مهدي يميز تمييزا دقيقا بين الموقع الطليعي للطبقة العاملة في اطار التحالف الطبقي، أي في اطار حركة التحرر الوطني العربية، وبين موقعها القيادي، الا انه يصل الى استنتاجات لا اتفق معها، كما يتبين القاريء.

فالمهمة الراهنة التي تواجه الطبقة العاملة وأحزابها الثورية هي، في نظري، مهمة السعي من أجل ضمان انحياز قطاعات أوسع فأوسع من الفئات البرجوازية الصغيرة والوسطى الى مشروعها الخاص للتحرر، أو بتعبير آخر ضمان اعتراف هذه القطاعات بالموقع الطليعي الذي تحتله الطبقة العاملة في اطار التحالف الطبقي. وكما سبقت الاشارة، فان الأزمة التي تواجهها حركة التحرر الوطني العربية من جهة وظاهرة التحول التي رافقتها من جهة أخرى، بالاضافة الى بعض الظواهر الأخرى (كالظاهرة التي نشهدها في هذه الأيام، والتي تتجلى في تبني قطاعات وطنية فلسطينية متزايدة لبرنامج حزب الطبقة العاملة الفلسطينية في حل القضية الفلسطينية)، كل ذلك يدفع الى التفكير بأن انجاز هذه المهمة هو أمر ممكن، شريطة أن تتمسك أحزاب الطبقة العاملة بحزم، وفي كل الظروف والمنعطفات، بنهجها السياسي الثوري المستقل وأن تتجنب الوقوع تحت تأثير الفكر البرجوازي. وكما كتب الرفيق مهدي، بحق، فان الموقع الطليعي للطبقة العاملة في التحالف «يكون طليعيا بمقدار ما يكون النهج السياسي للطبقة العاملة نهجا ثوريا... ان الموقع الطليعي هو موقع سياسي بامتياز...، يتحدد في حقل الممارسات الطبقية المتصارعة». اما فيما يتعلق بمسألة الموقع القيادي للطبقة العاملة في اطار الحركة، أو التحالف الطبقي المعبر عنها، فهذه مسألة لن تتقرر اراديا، بل ستحل تدريجيا في خضم العملية الثورية ذاتها... وكلما نجحت الطبقة العاملة في تأمين انحياز قطاعات واسعة من الفئات الاجتماعية الأخرى، المشاركة في التحالف، الى مشروعها الخاص للتحرر، وضمان اعتراف هذه القطاعات بموقعها الطليعي في التحالف، كلما تمكنت من زيادة مساهمتها في القيادة الفعلية للتحالف. فاذا لم تكن مهمة تبوأ الموقع القيادي في اطار التحالف مطروحة بعد على جدول أعمال الطبقة العاملة وأحزابها الثورية، فان هذا لا يعني أبدا أن على الطبقة العاملة أن تقبل باستمرار انفراد الفئات البرجوازية الصغيرة والوسطى بقيادة التحالف، كما لا يعني أن عليها أن تقبل بأن تكون مشاركتها في القيادة مشاركة شكلية وغير فعلية، خصوصا بعد أن اثبتت التجربة ذاتها أن انفراد هذه الفئات بقيادة الحركة الوطنية التحررية العربية لم يوصل هذه الأخيرة سوى الى أزمتها الراهنة. ومما يعزز طموح الطبقة العاملة الى ضمان مشاركتها الفعلية في قيادة الحركة واقع أن التحولات الاقتصادية و الاجتماعية التقدمية، التي تحققت في وقت من الاوقات، قد زادت كثيرا من الوزن العددي والنوعي للطبقة العاملة في المجتمع.

أين الحلقة المركزية في نضال أحزاب الطبقة العاملة ؟

ان في مقدور أحزاب الطبقة العاملة أن تلعب دورا رئيسيا في النضال من أجل اخراج حركة

Digitized by Birzeit University Library

التحرر الوطني العربية من أزمتها الراهنة، اذا ما نجحت في الامساك بالحلقة المركزية في هذا النضال.

واذا حاولنا، بكلمات قليلة، تحديد مظاهر الأزمة التي تواجهها حركة التحرر الوطني العربية، لقلنا : ان هذه الأزمة تتجلى في التراجع عن مكتسبات تاريخية تحققت، دون أن يكون هناك رد جماهيري فعال ومناسب على هذا التراجع... فأين تكمن اذن الحلقة المركزية في النضال من أجل تصفية مظاهر الأزمة؟.. هل هي تكمن في «المسألة القومية»، أم أنها تكمن في مسألة الديمقراطية، أو في مسألة أخرى مختلفة عنهما ؟...

ان هذه الحلقة المركزية تكمن، في نظري، في مسألة الديمقراطية وليس في أية مسألة أخرى، بل يمكنني القول بأن النجاح في حل قضية الديمقراطية هو المدخل، والشرط المسبق، لحل كل القضايا المترابطة الأخرى. فبالاستناد الى الديمقراطية، ستتمكن الجماهير، وقواها الوطنية والتقدمية، من التصدي بحزم للهجوم الامبريالي- الصهيوني واحباط أهدافه، وستقدر على مجابهة نهج الارتداد اليميني وضمان العودة الى طريق التقدم الاجتماعي. فبالاستناد، الى الديمقراطية، والى دور الحركة الجماهيرية المتعاظم، ستتهيأ الفرصة أمام حركة التحرر الوطني العربية لتنطلق في انطلاقة جديدة وصولا الى حل مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية. ومن هو أقدر من الطبقة العاملة وأحزابها الثورية على لعب الدور الرئيسي في النضال من أجل حل قضية الديمقراطية؟ غير أن نجاح أحزاب الطبقة العاملة بلعب مثل هذا الدور لن يتحقق الا على قاعدة مقاربة جديدة لقضية الديمقراطية. وفي هذا السياق أقول بأنه لم يعد في وسع أحزاب الطبقة العاملة الاستمرار في تبني مقولة الفصل بين المضمون الاجتماعي للديمقراطية ومضمونها السياسي، كما لم يعد في وسعها التهاون تجاه ظاهرة تغييب الديمقراطية السياسية، بمفهومها الواسع، وكبت حريات الجماهير وفرض الوصايا عليها*. وفي الوقت ذاته، يصبح من واجب أحزاب الطبقة العاملة أن تعمل وتصر على توفر أسس ديمقراطية حقيقية للتحالف الطبقي، بما يضمن حق كل طرف من أطرافه، بما فيها حزب الطبقة العاملة، في المشاركة الفعلية في قيادة التحالف وفي التعبير المستقل عن مواقفه والترويج لأفكاره بحرية بين صفوف الجماهير. ولكي يكتسب نضال أحزاب الطبقة العاملة في سبيل الديمقراطية مصداقيته، ينبغي عليه أن ينطلق أولا من تعميق الديمقراطية بين صفوف الأحزاب ذاتها.

ومن هنا، فانني أختلف مع الرفيق كريم مروة في قوله أن النضال من أجل حل المسألة القومية قد غدا، بعد قيام دولة اسرائيل، «الشكل الرئيسي لتجلي الصراع الطبقي بين الحركة الثورية وعدوها الرئيسي المتمثل بتحالف الامبريالية ..... والرجعية». ربما كان هذا القول سليما، الى هذا الحد أو ذاك، في عقد الخمسينات. غير أن الصورة قد تغيرت منذ ذلك الحين. اذ أن المهمات القومية، لم تعد تبرز باعتبارها «المهمات الرئيسية» منذ أن بدأ يتكرس العامل «الخاص» الوطني في نضالات حركة التحرر الوطني العربية على حساب العامل «العام» القومي، وذلك بعد فشل الوحدة السورية - المصرية وانتقال عدد من البلدان، كمصر وسوريا، الى مرحلة أكثر تقدما من حيث محتواها الاجتماعي طرحت مهمات جديدة خاصة بكل بلد، كالتأميمات واقامة قطاع

* جاءت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة، التي شارفت على دخول عامها الثاني، لتؤكد أن الجماهير الشعبية قادرة على اجتراح المعجزات، في وجه أعتى الأعداء، اذا ما أطلق العنان لها ولمبادراتها، واذا لم تفرض الوصاية على حركتها.

Digitized by Birzeit University Library

الدولة وتعميق الاصلاح الزراعي. ألم يكن نشوء حركة وطنية فلسطينية متميزة تنظيميا عن فصائل حركة التحرر العربية الأخرى، في تلك الفترة، وقيام الاتجاهات القومية نفسها، وعلى رأسها اتجاه الناصري، بتشجيع تأسيس منظمة التحرر الفلسطينية في عام ١٩٦٤، ألم يكن ذلك تعبيرا عن واقع جديد نشأ ؟!...

غير أن الاشارة الى بروز العامل «الخاص» على حساب العامل «العام» لا تعني، بالطبع، أن الترابط الجدلي القائم بين العاملين قد انقطع، وانما تعني أن المهمات الوطنية «الخاصة» باتت تسبق، من حيث الأولوية، المهمات القومية «العامة» في نضال فصائل حركة التحرر الوطني في كل بلد من البلدان العربية. ومما يؤكد هذا الاستخلاص أن القضايا القومية لم تعد تحرك الجماهير الشعبية في البلدان العربية وتحفزها على النضال كما كان الحال في سنوات الخمسينات.

ثلاث ملاحظات ختامية :

- الملاحظة الاولى: ليس بامكان كاتب هذا البحث الادعاء بانه قد اوفى هذا الموضوع الشائك حقه، وان الاستخلاصات التي توصل اليها هي استخلاصات نهائية. وفي الواقع، فان مفهوم حركة التحرر الوطني العربية، بحد ذاته، يثير مشكلات جدية على المعيد المنهجي. فاذا وافقنا على ان حركة التحرر الوطني هي حركة طبقات اجتماعية، فهي تنشأ اذن في اطار محدد على الاصعدة السياسية والجغرافية والقانونية. وفي ظل تعدد الاطر الكيانية التي نجمت عن التجزئة الاستعمارية للعالم العربي، يصبح من الصعب الحديث عن حركة تحرر وطني عربية جامعة . فالكيانات المتعددة تعني مستويات متفاوتة للتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وتعني، في الوقت ذاته، سمات خاصة تتميز بها كل حركة من حركات التحرر الوطني في كل بلد من البلدان العربية. وعليه تبرز الحاجة الى اعداد دراسات خاصة لتجارب كل حركة من هذه الحركات في واقعها الملموس. وفي كل الاحوال، وبغض النظر عن هذه الملاحظة، ينبغي القول بان بحثي في حركة التحرر الوطني العربية، كان بحثا في الاتجاهات الرئيسية لتطور هذه الحركة في البلدان العربية، او بالاحرى في بلدان المشرق العربي.

- الملاحظة الثانية: وهي أيضا ذات طابع منهجي. فقد لاحظ القارىء، كما اعتقد، أن كاتب هذا البحث قد قارب موضوعه، وهو يقف على ارض التاريخ، في حين ان الشهيد مهدي كان قد قارب نفس موضوع البحث، وهو يقف على ارض الفلسفة. وهذا الاختلاف في المنهج بين الباحثين غالبا ما يؤدي الى تباين الاستنتاجات.

- الملاحظة الثالثة والاخيرة: أمل أن أكون، ببحثي هذا، قد قدمت اسهاما في النقاش الدائر حول حركة التحرر الوطني وآفاق تطورها. وفي الواقع، كنت أفكر منذ فترة طويلة بأن اكتب في هذا الموضوع. ولكنني لم افعل ذلك الا بعد أن استحثني مهدي، كما استحث الكثيرين غيري على تبني اسلوب الحوار الديمقراطي والرفاقي طريقا للوصول الى المعرفة والاقتراب من الحقيقة.

Digitized by Birzeit University Library

مستقبل العلاقات العربية - الامريكية *

د. نصير عاروري

تتطلب دراسة مستقبل العلاقات العربية - الامريكية القاء نظرة سريعة على تطور تلك العلاقات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بنوع من التركيز على فترة ما بعد حرب ١٩٦٧. وسيتناول هذا البحث اوجها متعددة لتلك العلاقات - سياسية واقتصادية وعسكرية - وتتمحور الدراسة في ثلاثة مواضيع:

١) الصراع العربي - الاسرائيلي وحرب الخليج واثرهما على تلك العلاقات.

٢) اقتصاد النفط العربي وآثاره على العلاقات.

٣) الوضع السياسي الداخلي في امريكا واثره على العلاقات.

تتميز العلاقات العربية - الاميركية بكونها غير متكافئة ، فالتبعية العربية لامريكا صبحت تبعية سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية . وسنحاول ان نتطرق الى العوامل التي كونت هذه التبعية ونلقي نظرة مستقبلية على هذه العلاقات في ضوء العوامل الثلاثة التي تشكل محور هذه الدراسة.

---

* ندوة مركز دراسات الوحدة العربية صنعاء ٥-٩ أيلول / سبتمبر ١٩٨٨.

Digitized by Birzeit University Library

تطور العلاقات العربية - الامريكية:

١. تهميش القضية الفلسطينية.

تنطلق عوامل الثبات في العلاقات العربية - الامريكية من افتراض امريكي بان منطقة الشرق الاوسط منطقة نفوذ لامريكا بعد خروج بريطانيا وفرنسا منها بعد الحرب العالمية الثانية. وتتمثل هذه العوامل في موقع المنطقة الاستراتيجي وثرواتها النفطية ، الامر الذي دفع ادارات امريكية متتالية الى اتباع سياسة الاحتواء ، التي تهدف الى منع الاتحاد السوفييتي وقوى وطنية وحدوية عربية من تحدي السيطرة الامريكية . وقد تمكنت امريكا من توجيه ضربة قاسية للتيار الوطني الوحدوي من خلال عدوان ١٩٦٧ ، الذي ابرز ، لاول مرة ، دور الوكيل للكيان الصهيوني في فلسطين.

وفي فترة ما بعد حرب حزيران، قام الرئيس ريتشارد نيكسون بتأطير مبدأ الانابة وتعزيز دور اسرائيل وايران ، ضمن ذلك المبدأ ، كاجهزة الاطفائية . اما خليفته جيمي كارتر فانه بدأ بتوسيع حلقة الانابة ودمج الدول العربية ، التي اطلق عليها اصطلاح الدول المعتدلة ، لتكوين اطفائية مشتركة . وكان يفترض هذا النهج ضرورة تسوية النزاع العربي - الاسرائيلي ، الذي اصبح يعتبر نزاع اقليمي لا يعادل في الاهمية صراع الدول العظمى في المنطقة. وينطوي هذا النهج على اعتبار ان اسرائيل والدول العربية "المعتدلة" تتمتع بمصالح مشتركة تفوق اهمية الخلافات بينها. فسياسةالاحتواء تطورت الان الى "احتواء التطرف" من اجل المصالح العامة المشتركة - مصالح امريكا واسرائيل والدول العربية المحافظة.

وعبر وزير خارجية ريغان الاول الجنرال اليكسندر هيغ عن هذا النهج باصطلاح الاجماع الاستراتيجي الذي يترجم عمليا الى تكوين تشكيلة غير رسمية من القوى الاقليمية المحافظة بما فيها اسرائيل . الا ان اسرائيل لم تكتف حينذاك بدور احدى مكونات التشكيلة بل اصرت على ان تكون حجر الزاوية الاساسي وان يتطور دورها من الوكيل الى الشريك . واستجاب ريغان لذلك الطلب اذ كان قد اعتبرها "رصيدا استراتيجيا فريدا" اثناء حملته الانتخابية عام ١٩٧٩(١) . وبنى ريغان على ذلك في السنين التالية فأبرم اتفاقية التعاون الاستراتيجي معها عام ١٩٨١ ومنحها فيما بعد وضع دولة عضو في حلف الناتو. وبدأت قيمة اسرائيل الاستراتيجية بالنسبة لامريكا تفوق اهتمامها في خلق تسوية فلسطينية - اسرائيلية . وبحلول عام ١٩٨٣ ، كانت ادارة ريغان قد تقبلت وجهة النظر الاسرائيلية ان قضية فلسطين هي قضية ثانوية لا تشكل السبب الرئيسي لعدم استقرار المنطقة.

وبدا ذلك القبول واضحا بعد اعتماد مؤتمر القمة العربي خطة فاس ١٩٨٢ وقيام لجنة من الملوك والرؤساء العرب بمحاولة يائسة لترويج تلك الخطة في واشنطن . وباءت الى الفشل جميع المحاولات العربية خلال اعوام ١٩٨٢ - ١٩٨٥ ، فان ادارة ريغان لم تؤجل حينذاك مناقشة طلب السعودية لشراء الاسلحة وحسب ، بل انها اخطرت الملك ان مبررات العرب لمبادرة امريكية جديدة ليست قوية بما فيه الكفاية. وذلك يعني ان الشروط الامريكية والاسرائيلية للتسوية تم استيفاؤها رغم اتفاق حسين - عرفات في ١١ فبراير ١٩٨٥. وقال وزير الخارجية الامريكي جورج شولتز انذاك ان اتفاق عمان تنقصه المصداقية ، كما ان "اطاره العام المشوش" لا يؤهله لان تكترث به اسرائيل جديا (٢). وقد حثت واشنطن العرب ، دونما مسوغ لذلك ، على ان

Digitized by Birzeit University Library

يكفوا عن "مناورتهم البلاغية" وان يتفاوضوا مباشرة مع اسرائيل.

ولا شك ان تحذير ريتشارد ميرفي ، وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط ، لاصدقاء امريكا من العرب في حزيران/ يونيو ١٩٨٥ هو دليل واضح على رغبة امريكا ان تتبنى الدول العربية سياستها نحو منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ قال:

احد الاشياء المؤكدة في عام ١٩٨٥ هو ان احدا من القادة الاسرائيليين لن يكون راغبا في الجلوس الى مائدة المساومات مع ممثل علني لمنظمة التحرير الفلسطينية ، سواء اكان هذا في مؤتمر دولي ، ام في مفاوضات ثنائية . كما اننا سوف لا نسأل الاسرائيليين ان يفعلوا ذلك ، ودون حضور الاسرائيليين ، فانه لن تكون هناك مفاوضة ، ولا فرصة ، للتحري عما قد تكون اسرائيل راغبة في مقايضة بالسلام. (٢).

وقد كشف اصرار التحذيرات الصارمة من الرئيس مبارك والملك حسين الى منظمة التحرير الفلسطينية عن انجاح هذه الاستراتيجية الاميركية: ففي ديسمبر ١٩٨٥ وجه مبارك انذارا لياسر عرفات: اما ان يقبل القرار ٢٤٢ صراحة ، واما ان يصبح ما اطلق عليه "الخاسر الاكبر" . وبالفعل ، فان منظمة التحرير اعلنت عن قبولها لقرار ٢٤٢ الا ان ذلك القبول لم يؤد الى تغير في السياسة الامريكية تجاهها او تجاه العرب الاخرين.

ولا تزال امريكا تتبنى موقف اسرائيل الذي يقوم على اعتبار ان القضية الفلسطينية ليست مركزية ، وان مشاكل الخليج هي المسؤولة عن عدم الاستقرار في المنطقة . وبما ان اختلاف وجهات النظر حول كيفية فض النزاع في فلسطين كان يشكل دوما العامل الاساسي في العلاقات العربية - الامريكية ، جاءت سياسة ريغان هذه بمثابة تحد للانظمة العربية ولمنظمة التحرير ، التي كانت تصر على تسوية سلمية تمنح الشعب الفلسطيني وجودا ذا سيادة في شرق فلسطين (الضفة الغربية) وغزة . فاما ان تستمر هذه الانظمة في الاصرار على تحقيق اهداف الحد الادنى ، كما حددتها قرارات مؤتمر الرباط ١٩٧٤ واكدتها قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٧٧ وقرارات مؤتمر فاس ١٩٨٢ ، وبذلك تختلف مع امريكا ، واما ان تنزل حدها الادنى الى ادنى مما كان عليه. ولا شك ان الرد الفعلي العربي لتحديات اسرائيلية - امريكية جرت خلال العقد الاخير يشير الى قبول عربي ضمني للطروحات الامريكية المتأثرة بطروحات الشريك (وليس الوكيل) الاسرائيلي . ومن بين تلك المؤشرات تلاشي جبهة الصمود والتصدي بعد الحرب العراقية - الايرانية ، وعدم معارضة الكثير من اعضاء تلك الجبهة لسياسة امريكا ومصر الهادفة لتعريب كامب ديفيد. والمؤشر الثاني هو الحياد العربي الفعلي اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ١٩٨٢ ، فالعربية السعودية ، التي اشهرت سلاح النفط عام ١٩٧٣ لدعم العمل العسكري المصري - السوري ، اعطت تأكيدات بان الانتقام الاقتصادي غير وارد ، والالتزام المصري بمعادة السلام كان لا بد ان يبقى متماسكا . اما بقية العالم العربي ، الذي اعترف بمنظمة التحرير خلال السبعينات ، فقد التزم الصمت .ومن المؤشرات الاخرى انهماك بعض الانظمة العربية في مكافحة ما يسمى في واشنطن وتل ابيب بالارهاب الدولي ، واصرارها على رجوع مصر الى الحظيرة العربية لتكون وسيطا بين الاردن ومنظمة التحرير من جهة ، وبين العرب وامريكا واسرائيل من جهة اخرى لتحقيق تسوية على اساس اتفاقات كامب ديفيد . ونذكر ايضا الانهماك العربي في تطوير اتفاقية عمان ١٩٨٥ لتحل محل قرارات فاس ، وبعد ذلك التعاون العربي مع الوزير شولتز ، خلال النصف الاول من عام ١٩٨٨ ، الذي طرح مشروعا يهدف لاحتواء الانتفاضة الفلسطينية.

Digitized by Birzeit University Library

وتدل هذه المؤشرات جميعها على قبول عربي لسياسة امريكا الفلسطينية خصوصا بعد ان تأثرت تلك السياسة ، في عهد الرئيس ريغان ، بطروحات التجمع الليكودي . وبهذا فان السياسة العربية قد تراجعت من الاعلان عن تحرير كافة فلسطين، الى ازالة اثار العدوان في السبعينات ، وهي الان تكتفي بازالة الاحتلال العسكري الصهيوني (وليس السيادة الاسرائيلية) مما تبقى من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ذات الكثافة السكانية العربية . وقد تحقق ذلك فعلا بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان ، الامر الذي اتاح "الفرحة" لامريكا لتعزيز وجودها العسكري في المنطقة ولاكمال خطتها لبلقنة العالم العربي ، لكي لا تجرؤ اي قوى عربية على تحدي الهيمنة الامريكية . وهذه "الفرصة" ، كما سماها ريغان في خطابه بتاريخ ٨٢/٩/١ كانت تنتظرها واشنطن لتكميل ربط الانظمة العربية بعجلة السياسة الامريكية مباشرة ، والعمل على زيادة اعتمادها على امريكا للمحافظة على كيانها وامنها ، وبالتالي شل الارادة العربية للتصدي للنفوذ الامريكي لاجل طويل.

٢- تحول مركز الثقل من المشرق العربي الى الخليج

استهدف غزو لبنان عام ١٩٨٢ ، ضمن ما ورد سابقا ، انهاء المأزق الذي ادت له اتفاقات كامب ديفيد ، وخلق واقع جيو سياسي جديد في الشرق الاوسط تستطيع اسرائيل في اطاره ان تكون الشريك الاصغر في السلام الامريكي Pax Americana ، اي ان تكون الهيمنة الاسرائيلية واسعة المدى. كان ذلك الغزو ، في جوهره ، ردا على التهديد الاستراتيجي الذي مثله التوافق العربي - الامريكي في اعقاب حرب تشرين اول / اكتوبر ١٩٧٣ . وعلى بلوغ شرعية منظمة التحرير الفلسطينية اوجها في السبعينات ، وعلى تذبذب الولايات المتحدة خلال العقد الماضي . فبعكس ما بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ظهر العالم العربي بعد غزو لبنان ١٩٨٢ بحالة شلل كامل ، فالثقل الاقتصادي والسياسي الذي دعم دبلوماسية السبعينات من اجل "ازالة اثار العدوان" ، كان في حالة تلاش. وهنا لا بد من الاشارة الى ان مستوى التبعية الذي وصلت اليه العلاقات العربية - الامريكية بعد غزو لبنان هو نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية كانت تؤثر في تلك العلاقات منذ ١٥ عاما .

فخرب حزيران ١٩٦٧ كانت قد خلقت ، ضمن اشياء اخرى ، تحول في مركز الثقل العربي ، من مصر وسوريا والعراق ، التي كانت تتبنى مشاريع الاشتراكية والوحدة العربية والاستقلال الاقتصادي والاجتماعي ، الى دول الخليج والجزيرة العربية ، التي لم تكن في اي وقت سابق تشكل محورا في العالم العربي والتي كانت تتبنى المجتمع الاستهلاكي والنظام الاقتصادي المرتبط بالنظام الرأسمالي العالمي على اساس عدم التكافؤ . وجدير بالذكر ، ان دولة الاشتراكية العربية ، بخلاف دول الخليج ، تتمتع بالكثافة السكانية ، والتقدم الثقافي والصناعي والتنويع الاقتصادي . وجدير بالذكر ايضا ، ان دول الاشتراكية العربية كانت تقوم بمبادرات اقتصادية وسياسية في علاقاتها مع الدول الغربية ، ميزتها في الاساس عن دول الخليج المحافظة . ونذكر في هذا السياق تأميم قناة السويس ، الاصلاح الزراعي ، تعزيز القطاع العام ، وتبني العلمانية وعدم الانحياز.

تحول مركز الثقل الى دول الخليج بعد حرب حزيران خلق مستويين من التبعية: تبعية دول الاشتراكية العربية لدول الخليج ، وتبعية دول الخليج للنظام الرأسمالي العالمي . وبهذا تبلورت هذه التبعيات المختلفة في فترة ما بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٨٢ الى تبعية عربية شاملة لامريكا ، بدأت على اثر حرب حزيران وتكاملت بعد غزو لبنان . وخلال تلك الفترة ، جرى تحول

Digitized by Birzeit University Library

تدريجي على طروحات دول الاشتراكية العربية لدول الخليج ، وتبعية دول الخليج للنظام الرأسمالي العالمي . وبهذا تبلورت هذه التبعيات المختلفة في فترة ما بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٨٢ الى تبعية عربية شاملة لامريكا ، بدأت على اثر حرب حزيران وتكاملت بعد غزو لبنان . وخلال تلك الفترة ، جرى تحول تدريجي على طروحات دول الاشتراكية العربية حول الاسس المناسبة للعلاقات العربية - الاميركية ، اذ بدأت بالتكافؤ وانتهت الى الدمج في اطار التبعية . فمصر الناصرية رائدة الوحدة العربية وعدم الانحياز اصبحت في عهد السادات تنتقد ، من خلال اتفاقات كامب ديفيد ، بقيود شبيهةبتلك التي كانت تنطوي عليها معاهدة فرساي بالنسبة لالمانيا. تحولت تلك الى مصر الساداتية ، مصر كامب ديفيد والانفتاح الذي ساعد في تخريب الاقتصاد المصري واخضاعه للسيطرة الامريكية واضعاف القوات المسلحة وتحييدها.

وتبين من خلال مذكرات وليم كيسي ، مدير وكالةالمخابرات المركزية الامريكية الراحل ، ومن كتابات جيم هوغلاند ، مراسل جريدة واشنطن بوست ، ان خليفة عبد الناصر كان يتقاضى راتبا من الوكالة (سي.اي.ايه) ، خلال السبعينات عن طريق كمال ادهم ، رجل امريكا الذي كان يشغل منصب مدير المخابرات السعودية (٤) . ولقد خضعت القرارات المصرية ، بعد وفاة عبد الناصر ، الى الوصاية الامريكية لدرجة ان جريدة واشنطن بوست كشفت بتاريخ ١٩٨٥/١١/٣ عن خطة لاغتيال الرئيس معمر القذافي دبرتها المخابرات الامريكية بالتعاون مع مصر في عهد الرئيس مبارك .وهذه الدولة العربية المطلوب ضربها ترتبط مع مصر بمعاهدة الدفاع العربي المشترك.

ليس من الغريب ان تصل العلاقات بين امريكا ومصر لهذا المستوى من التبعية في عصر الانفتاح ، الذي عبر عن تحول مركز الثقل في العالم العربي من دول الاشتراكية العربية الى دول الخليج ، فهذا النموذج من العلاقات يشكل امتدادا لعلاقات امريكا بالسعودية . ويذكرنا وليم كيسي في هذا السياق عن خطة اغتيال الشيخ محمد حسين فضل الله ، زعيم حزب الله في لبنان ،واتفاق كيسي والامير بندر بن سلطان ، سفير السعودية في واشنطن ، الذي التزم من خلاله الامير بدفع ٣ مليون دولار لتلك العملية(٥).

يرجع التحول الفعلي في مركز الثقل العربي الى اعقاب مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٨ ، حين بدأت دول الخليج وفي طليعتها السعودية ، تطرح ان مفتاح التسوية في المنطقة تملكه امريكا التي اصبحت حينذاك من كبار مستوردي النفط العربي. واصبحت النظرية السعودية الجديدة قائمة على استخدام النفط كسلاح لاقناع امريكا ان تعيد النظر في سياستها تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي . وكان ذلك يقتصر على محاولات الاقناع فقط ولكنه لم يشمل التهديد ، ويركز الطرح على اعتبار ان امن الانظمة العربية المحافظة اصبح مهددا بسبب الاحتلال الاسرائيلي والعجز العربي ، مما يفرض على امريكا ان تغير سياستها المنحازة لاسرائيل وبذلك تحافظ على مصالحها ومصالح حليفاتها المشتركة . والا فان القوى الشيوعية والراديكالية في المنطقة ستهدد امنها ، وبالتالي تضعف امكانياتها في الحفاظ على المصالح الامريكية في المنطقة !

وقامت حكومة السعودية فعلا بترجمة طرحها هذا الى برنامج عمل حينما قدمت اقتراحاتها الى واشنطن في ايار / مايو ١٩٧٣ بواسطة شركات البترول الامريكية التي تملك شركة الارامكو ، ولكن واشنطن لم تستجب لمطلبها (٦) . وازدادت الضغوط العربية من جهات شعبية ورسمية على السعودية لتبني مبدأ توظيف الثروة النفطية كسلاح سياسي لاجراء التغييرات الضرورية في

Digitized by Birzeit University Library

سياسة امريكا الشرق اوسطية.

فعلى المستوى الرسمي ، كانت الجزائر والعراق تمثلا تيار المجابهة الاقتصادية مع امريكا عن طريق التأميم والدعوة الجادة لاشهار سلاح النفط . وانضمت لهما فئات شعبية من بلدان عربية مختلفة ، ويمكننا القول ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ جاءت بمثابة الحل الوسط للانظمة العربية والفئات الشعبية ولو ان ذلك الحل كان يميل بالاكثر نحو التيار العربي المهادن - مصر والسعودية - الذي اعتبر ان عملا دراماتيكيا كحرب محدودة ربما تقنع امريكا بضرورة القيام بمبادرة جديدة تنطوي على الضغط على اسرائيل وتأمين التنازلات اللازمة للتسوية حسب متطلبات الاجماع الدولي : انسحاب اسرائيل من اراضي ١٩٦٧ والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. وبحلول عام ١٩٧٣ ، اصبح النفط عاملا اساسيا في العلاقات العربية - الامريكية.

النفط وأثره على العلاقات العربية - الامريكية:

بدأ النفط يؤثر على المجتمع العربي تأثيرا جوهريا بعد عام ١٩٧٣ وشمل ذلك علاقاته الداخلية والخارجية . وارتفاع اسعار النفط على اثر حرب اكتوبر منح المجتمع العربي سبع سنوات سمينة ، تلتها في عام ١٩٨٠ ، سبع سنوات عجاف. وخلال السنوات السمينية ارتفع دخل دول النفط في المشرق العربي من ٣٠٤ر٩ بليون دولار عام ١٩٧٢ الى ٦٧٢ر١٧ بليون دولار عام ١٩٨٠ (٧) . وبينما كان سعر البرميل الواحد في اكتوبر ١٩٧٣ لا يتجاوز دولار وثمانين سنت ، وصل بعد الحرب الى ١٠ دولارات في ديسمبر ١٩٧٤ والى ٤٢ دولارا عام ١٩٨٠ (٨) . ثم شاهدت السبع سنوات العجاف التي تلتها تدهور الاسعار الى ٢٩ دولارا في نوفمبر ١٩٨٥ و ٨ دولارات فقط في تموز/ يوليو ١٩٨٦ (٩) .والان تتراوح بين ١٤ - ١٥ دولار للبرميل الواحد.

تعبرهذه التقلبات السريعة في اسعار النفط عن حقيقة اعتماد "اقتصاد النفط العربي" على الاسواق الرأسمالية العالمية ، الامر الذي يعزز التبعية العربية .ويقول الدكتور روجر اوين في هذا المجال ان انخفاض اسعار النفط في السنوات العجاف كان هائلا فقيمة النقص في الدخل النفطي لستة دول اعضاء في مجلس الخليج التعاوني بين عامي ١٩٨١ - ١٩٨٣ كانت النصف تماما ، وبعد سنتين نقصت تلك الكمية نصفا اخر (١.) وبينما كانت السعودية قد حصلت على ١١٠ بليون دولار لصادراتها النفطية عام ١٩٨١ ، اصبح ذلك الدخل مجرد ٢٨ بليون في ١٩٨٥ / ١٩٨٦ ، مما ساهم اكثر واكثر في تزايد التبعية العربية .ولم تقتصر هذه التبعية على الدول المصدرة للنفط فحسب ، بل على المجتمع العربي ككل ، اذ ان دول النفط الخليجية بدأت منذ عام ١٩٦٧ تسد العجز في اقتصاديات دول الاشتراكية العربية التي سببته الحرب .وفي المقابل ، وافقت مصر وسوريا على التنسيق سياسيا مع دول الخليج في اطار تغلبت فيه الرؤيا السعودية . وتزايد اعتماد مصر على دول الخليج في عهد السادات ، الذي اتبع سياسة الانفتاح ، وهي سياسة ترجع في الاساس الى اثر النفط على المجتمع العربي.

٠١. النفط والانفتاح

سياسة الانفتاح تلت تراكم الرأسمال الخاص وظهور برجوازية عربية جديدة تكونت من بقايا

Digitized by Birzeit University Library

برجوازية ما قبل السبتمبر ، ومن برجوازية الدولة التي خلقتها مشاريع التأميم وسياسات الاشتراكية العربية ، وبرجوازية الثروة النفطية (١١) وبما ان هذه البرجوازية تمثل طبقة طفيلية غير منتجة ، تعتمد على الخدمات والسمسرة والعقود ، فانها اصبحت عاملا رئيسيا في تشجيع دمج الاقتصاد العربي بالاقتصاد الغربي والياباني ، وبالتالي تشجيع الانفتاح . ولم يكن للثروة النفطية اثر فعال في تصنيع المجتمع العربي او بلورة الطبقة العمالية الصناعية ، بل انها ساعدت على تحول شطر من الفلاحين الى طبقة شبه عمالية Sub-Proletariat وبالتالي غير مهيأة للنضالات السياسية التي تتميز بها طبقة العمال عادة.

وبدأت انظمة الاشتراكية العربية تتأثر بالثروة النفطية مهملة القطاع العام المنتج ، تفتح اسواقها للبضائع الاستهلاكية الاجنبية وتشجع الاستثمارات الخاصة وتبتعد عن سياسة عدم الانحياز متجهة نحو الغرب (١٢) . هذا الانفتاح السياسي والاقتصادي الذي ساهمت في انشائه الثروة النفطية بعد حرب اكتوبر بدأ في مصر وانتقل الى السودان واليمن الشمالي والعراق وسوريا واخيرا الى الجزائر. ومن هنا اصبحت مهادنة امريكا بمثابة سياسة علنية للبعض وضمنية للبعض الاخر.

سياسة الانفتاح هذه التي ادت الى درجة عالية من التبعية مكنت الدول الغربية الرأسمالية من استرجاع اموالها المخصصة لشراء النفط العربي ، الامر الذي ساهم في دمج الاقتصاد العربي بالاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وهذا موضوع كتب فيه الكثير الدكتور سمير امين (١٣) وبالرغم من حلول السنوات العجاف ابتداء من عام ١٩٨٠ فقد توفرت لدول النفط كميات هائلة من الدخل ، ففي العشر سنوات من ١٩٧٣ - ١٩٨٣ كان دخل هذه الدول ٣١ و ١٣٤٧ بليون دولار (١٤).

والسؤال هنا ، كيف تنفق هذه الاموال الهائلة؟ هناك طريقان تنصب فيهما اموال النفط العربية: سوق الاسلحة والسوق المالية ، وكلاهما يؤكدا التبعية . فالانفاق على الاسلحة كان يزداد بازدياد الدخل من مبيعات النفط ، وبينما انفقت الكويت اقل من ٢٠٠ بليون دولار عام ١٩٨١ (١٥) . وجدير بالذكر انه لم يكن هناك مبررا امنيا لهذه الزيادة الهائلة ، الا ان معظم الدول العربية التي تحظى بالنفط او التي تسربت لها اموال النفط استخدمت الثروة النفطية لاستقطاب الفئات التي تميل الى المعارضة السياسية للحفاظ على الوضع الراهن ، الامر الذي يمنحها فرصة لتحديث وتوسيع اجهزتهاالعسكرية والبيروقراطية.

والطريق الثاني الذي تعرج نحوه الثروة النفطية هو طريق الاسواق المالية والبنوك والعقارات في الغرب . فبدلا من توظيف هذه الثروات في تطوير الاقتصاد والتصنيع ، او الحد من الانتاج ، اصرت دول النفط على ارجاع الثروة الى الغرب حيث تستخدمها الدول الرأسمالية وخاصة امريكا ، كقروض لبلدان العالم الثالث الفقيرة ، وبذلك تصبح الدول العربية المستغلة طرفا اخر في استغلال تلك البلدان الفقيرة.

النمط الانفرادي لسياسة امريكا تجاه العرب:

حاولت الدول العربية اخماد الثورة الايرانية مستخدمة في ذلك اموال النفط والقوة العسكرية العراقية ، اذ لم يكن سرا ان بعض تلك الدول كانت تطمع في التنافس مع اسرائيل في تقديم

Digitized by Birzeit University Library

خدماتٍ استراتيجية لامريكا . وحتى قبل اندلاع الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ كان يعلن انور السادات وغيره من الحكام بصراحة مطلقة انهم يطمعون في الحصول على لقب الحليف الاستراتيجي . كان يطمع هؤلاء في اقناع واشنطن ان بامكانهم تصحيح الوضع الاستراتيجي بعد سقوط الشاه ، واستعادة ايران الى الحضانة الامريكية .ولكن امريكا قررت الاعتماد على قوتهاالمباشرة للتضييق على النظام في ايران.

ومن هنا كانت صفقة الاسلحة الاميركية مع ايران ، فهي تشير الى خيبة امل واشنطن في قدرة العرب على الاضطلاع بدور الشرطي الاميركي في المنطقة .وذلك ما كان يعنيه كل من ريغان وبويندكستر واوليفرنورث حينما كانوا يدعون ان منهجهم يهدف الى تعزيز موقف "المعتدلين" في ايران ، اي الاطاحة بنظام الخميني. وبنفس الوقت كان الكشف صفقات الاسلحة السرية ضربة موجعة لبعض الانظمة العربية التي اعلنت في اعقاب الكشف ان امريكا قد "فقدت مصداقيتها" في المنطقة ، اي بصراحة ان امريكا الغت اتفاقا ضمنيا من طرف واحد كان يقضي بتعهد هؤلاء العرب بالاطاحة بنظام الخميني مقابل مساعدة واشنطن لهم على التوصل الى حل للقضية الفلسطينية . ومن هنا بدأت سياسة امريكا تهدف الى اسقاط دور الشرطي العربي وتشرع في التدخل المباشر.

وان اتباع امريكا الى سياسة الميل tilt نحو العراق ما كان الا لتمكينها من ادخال اساطيلها الخليج وتعزيز وجودها العسكري هناك تحت شعار حماية الملاحة وأمن الدول الخليجية ، بالرغم من هذه تعتبر عادة واجبات دولية ومسؤوليات جماعية . الا ان امريكا تتبع النهج الانفرادي unilaterahism في علاقاتها مع العرب ، فوجودها العسكري واعمالها في الخليج انفرادية وكذلك فان سيطرتها على دبلوماسية الصراع العربي ـ الاسرائيلي انفرادية تسمى بعملية السلام . ومن خلالها تفرض ان تكون التسوية بين الدول العربية والكيان الصهيوني تسوية منفردة وفقا لمباديء كامب ديفيد.

وجدير بالذكر ، ان امريكا اعتبرت رجوع مصر الى الحظيرة العربية نصرا لنهجهاالانفرادي في المنطقة ونصرا لمشروع تجزئة العالم العربي وبلقنته. ان الحملة من اجل رجوع مصر الى الساحة العربية التي تبنتها السعودية ودول الخليج والعراق منذ سنوات ، ودفعت في اتجاهها امريكا ، كانت تقوم على الافتراض بان مصر تتمتع بدور فريد في الصراعات الرئيسية في المنطقة . فحرب العراق مع ايران لم تستنزف الموارد الاستراتيجية العربية فقط ، بل انها خلقت ايضا فهما خطيرا للاولويات بتركيز الضوء على ما اصبح يدعى "بالتهديد الفارسي" للميراث العربي. وقد تبلورت اهمية هذه الظاهرة في حقيقة تزايد الانقسام داخل الوطن العربي ، اذ بدأ العرب في منطقة الخليج يشعرون "بالتهديد الشيعي" الذي اصبح يعنيهم اكثر من الخطر الصهيوني. وهكذا فان الدول العربية التي كانت قد وافقت على ضرورة عقاب مصر وعزلها في قمة بغداد ١٩٧٨ بسبب تخريبها التضامن العربي ، قررت بعد الحرب العراقية ـ الايرانية ان ترد اعتبار مصر وان تعلي من قدرها باعتبارها حصنا في مواجهة ايران ودعامة رئيسية لما بدأ يدعى بالامن العربي. وقد جعل اكتشاف هذا الدور الامني لمصر الدول العربي تتغاضى عن تجاوزات مصر السابقة وتمنحها العفو والسماح ، بل تقدم لها فرصة لابراز اتفاقات كامب ديفيد كنهج لمستقبل العلاقات العربية ـ الامريكية ـالاسرائيلية.

اما دور مصر الثاني الذي اكتشفته الانظمة العربية فيتعلق بالقضية الفلسطينية اذ بدت مؤهلة

Digitized by Birzeit University Library

للتنسيق بين الفلسطينيين والاردن والوساطة بينهما من جهة وبين امريكا من الجهة الثانية . ويكفي هنا القاء نظرة سريعة على مشروع شولتز الانفرادي لعام ١٩٨٨ وردود الفعل العربية لنرى حقيقة دور مصر المتوقع . فمصر كانت الدولة الوحيدة التي اثنت على ذلك المشروع علنا ، بينما اصر انصار رجوع مصر الى الحظيرة العربية على تأجيل مؤتمر قمة الجزائر لغاية اول حزيران/ يونيو ١٩٨٨، اي الى ما بعد مؤتمر قمة ريغان - غورباتشوف. وبذلك تخلو عن اي امكانية للضغط على امريكا في مؤتمر قمتها مع الاتحاد السوفييتي ، وذلك بالرغم من ان مشروعهم الذي بمدينة فاس ١٩٨٢ يتناقض مع مشروع شولتز بينما انه يتماثل مع المشروع السوفييتي لعام ١٩٨١ المعروف بمشروع بريجينيف. وكانت امريكا قد حذرت الدولة العربية من اتخاذ موقف يشجب مشروع شولتز في الجزائر وذكرتنا بان مصالحها ومصالح امريكا تلتقي حول ضرورة الحفاظ على الوضع الدبلوماسي الراهن. واكد ما حصل بالفعل هو ان شولتز كان يمنح شامير ، من خلال مشروعه ، الوقت اللازم لاخماد الانتفاضة الفلسطينية بينما كانت الدول العربية ، التي اجتمع رؤساؤها وملوكها في الجزائر في يونيو ١٩٨٨.

تمنح شولتز الفرصة لمنح شامير ذلك الوقت . واضافة الى ذلك ، فانها تخلت عن الفرصة السانحة لبلورة موقف عربي يعزز الجهود الدولية من اجل عقد مؤتمر دولي ذا صلاحيات ينبثق عن ارادة دولية ويتبناه مجلس الامن الدولي.

الا ان نهج امريكا الانفرادي هو الذي تغلب انسجاما مع طابع العلاقات العربية - الامريكية التي يتميز بالتبعية . وصراعات الشرق الاوسط الثلاثة ترضخ تحت الوصاية الامريكية بدرجات من التفاوت . ويبدو ان النهج الانفرادي قد تغلب في هذه المنطقة على مبدأ الامن الجماعي والمسؤولية الدولية . فالعرب الذين كانوا يصرون في مشاريعهم وقراراتهم طيلة ١٥ سنة على المسؤولية الدولية وضرورة انعقاد المؤتمر الدولي لفض النزاع ، قد رضخوا للامر الواقع وتقبلوا ، عمليا مبدأ الانفرادية ، في معاملاتهم مع امريكا . فهم في حالة شلل سياسي وعسكري لا يملكوا سيادة القرار في شؤونهم الرئيسية سواء كانت اقتصادية ، كما اوضحنا سابقا ، ام سياسية.

وادهى من ذلك هو ان هذه السيطرة الامريكية لم تتم بالرغم عن انف الدول العربية بل بموافقتها . اذ ان الكثير منها قد ربطت امنها بالمصالح الامريكية فهي تقوم بالاعتماد عليها للخبرات البوليسية وتكنولوجيا القمع والاسلحة والحماية المباشرة . ولذلك فانها لا تملك وسائل الضغط على امريكا اسس العلاقة بينهما بالنسبة لشروط التسلح ومعنى العلاقة الخاصة والتزامات امريكا نحوها . بينما امريكا هي التي تقرر اسس علاقتها بالانظمة العربية من حيث نوع وكمية وشروط استعمال الاسلحة التي تبيعها لها بالعملة الصعبة . كما ان اسرائيل واصدقاؤها يذكروا امريكا بان مصالحها الامنية في الشرق الاوسط تعتمد على القوة والاثر الاسرائيلي ، بينماامريكا هي التي تذكر الانظمةالعربية بانها تتعهد بحمايتهم وفقا لمبدأ كارتر .١٩٨٠ وتعديلات ريغان ١٩٨١.

والان ، بعد ان استعرضنا تطور العلاقات العربية - الامريكية اثناء العقدين الماضيين من الزمن واطلعنا على نمط تلك العلاقات والعوامل الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية التي دفعت العالم العربي الى مرحلة متقدمة من التبعية ، علينا ان نتساءل ما هو مستقبل تلك العلاقات؟ فهل هناك بوادر مؤشرات تدل على اي تغيير لصالح استقلالية القرار العربي - عسكريا وسياسيا واقتصاديا؟

Digitized by Birzeit University Library

الجواب على هذا يتطلب تحليلا لثلاثة امور:

١) الوضع السياسي الداخلي في امريكا على ضوء الانتخابات القادمة.

٢) الوضع العربي بعد انتهاء الحرب العراقية - الايرانية.

٣) الوضع الدولي في ظل علاقات جديدة بين امريكا والاتحاد السوفييتي.

الوضع السياسي في امريكا

ان العلاقة الخاصة بين امريكا واسرائيل التي تدعمت اثناء رئاسة ريغان قد اصبحت منذ عام ١٩٨٨ من الثوابت التي لا يمكن لحكومات لاحقة في واشنطن التخلي عنها . وقد قدمت امريكا ذلك التعهد بالحاح من وزير الخارجية جورج شولتز كهدية عيد ميلاد الاربعين للكيان الصهيوني . ولذلك فان اي تحليل مستقبلي للعلاقات الامريكية الاسرائيلية ، وبالتالي العلاقات الامريكية العربية ، يجب ان لا يقوم على امكانية استمرار العلاقة الخاصة ، بل على امكانية تدعميها الى درجة تجعل امريكا تقوم بطلب المزيد من التنازلات العربية ، وبنفس الوقت تتخلى عن اي ضغط على اسرائيل يمكنها من القيام بالالتزامات الدولية مثل ابقاء سفارتها في تل ابيب واعتبارها ضم القدس العربية عمل غير شرعي.. وغير ذلك.

وبالرغم من اهمية هذاالعامل الاستراتيجي في العلاقات الامريكية الاسرائيلية فان نشاطات اللوبي الصهيوني تعزز ذلك العامل وتحاول استبعاد اية امكانية لتغيير مسار السياسة الامريكية لجانب اسرائيل ، وتركز اللجنة الامريكية - الاسرائيلية للعلاقات العامة (ايباك) Aipac ، منذ اواسط السبعينات ، على اهمية اسرائيل الاستراتيجية للمصالح الامريكية طارحة ان اسرائيل واللوبي الصهيوني لا يتوسلا المساعدات الامريكية اذ ان هذه المساعدات هي مجرد دفعات على بوليصة تأمين . وتدعي اللجنة ان قوة اسرائيل ونفوذها قد زادت من توسيع نفوذ امريكا في الشرق الاوسط ومن حد المد الثوري هناك ، ومن تمكين امريكا من مكافحة "الارهاب الدولي" بشكل فعال . ويمكن القول ان الحزبين الرئيسيين في امريكا قد تبنيا هذه المقولة . وتشير احداث المعركة الانتخابية الحالية في امريكا على رسوخ هذه النظرية في المجتمع السياسي ، كما تبين من طروحات المرشحين للرئاسة ومن قرارات مؤتمر الحزب الديموقراطي ، الذي عقد بمدينة اتلانتا من ١٨ - ٢١ تموز/يوليو ، ١٩٨٨.

وبالنسبة للمرشحين فقد اتخذ مايكل دوكاكس الديموقراطي موقفا شرق اوسطيا يتناقض مع رؤيته العالمية ، التي تتميز باقل صلابة من موقف منافسه في الحزب الجمهوري جورج بوش . فماضي دوكاكس مليء بالنشاطات الليبرالية واليسارية حيث كان من مؤيدي رئيس الثورة في جواتيمالا جاكوبو أربنز الذي اتهمته ادارة ايزنهاورعام ١٩٥٤ بالشيوعية وخلعته عن الحكم بواسطة وكالة المخابرات المركزية (سي.اي.ايه) وهو لا يؤيد دعم الكونترا في نيكاراغوا ولا يؤيد برنامج ريغان لحرب النجوم. ولكن موقفه تجاه الشرق الاوسط لا يختلف عن موقف اليمين في امريكا . يقول دوكاكس في بيان رسمي عن الشرق الاوسط ما يلي:

"لنا مصلحة حيوية في تأمين حق اسرائيل في البقاء والامن والازدهار ، وفي التخفيف من نفوذ الاتحاد السوفييتي وقوى اخرى معادية للعرب عسكريا وسياسيا في منطقة الشرق الاوسط ، وفي تأمين حقنا وحق حلفائنا في الحصول على الكميات الكافية من النفط.

Digitized by Birzeit University Library

"ان التوصل الى اتفاقية سلم شامل يشكل الهدف الرئيسي لسياستنا الخارجية في الشرق الاوسط . ولكن علينا ان نعترف ان مثل هذه الاتفاقية لا يمكن الا ان تنبثق عن تغيير المواقف والظروف في المنطقة ، ولا يمكن ان تفرض من الخارج . كما يجب ان نعرف ان توصل القادة العرب الى قرار الاعتراف باسرائيل والدخول في مفاوضات مباشرة معها يعتبر شرطا اساسيا لاحراز تقدم نحو السلام (م١٦).

ويضيف دوكاكيس في هذا الصدد:

"كرئيس للولايات المتحدة ، سوف :

- اعزز التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل.
- احافظ على مستوى عال من المساعدات الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل ومصر.
- اعارض مبيعات الاسلحة التي تشكل تهديدا لامن اسرائيل.
- اشجع مفاوضات مباشرة بين الاردن واسرائيل لفض النزاع في اطار اتفاقات كامب ديفيد.
- اعارض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية طالما ترفض التخلي عن الارهاب عمليا ونظريا وترفض الاعتراف باسرائيل وحقها في البقاء ، وترفض قراري الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ (١٧).

وتدل التعليقات الصحفية لمستشاري دوكاكس الاكاديميين والسياسيين ، ان هذا المرشح يعتبر صلح كامب ديفيد نموذجا للمستقبل في الشرق الاوسط. فتقول البروفيسورة مادلين اولبرايت وهي من كبار مستشاريه للشؤون الخارجية:

يجب ان تكون خطتنا الشرق اوسطية اكثر جدية. وعلى الرئيس القادم ان يبدأ نشاطه منذ اليوم الاول للبناء على اتفاقات كامب ديفيد .ولكن يتوجب على الدول هناك ان تخرج قيادات شبيهة بقيادة السادات للتمكن من السير في عملية السلام الى الامام (١٨).

وتكهنت اولبرايت ان دوكاكس ، في حالة كونه رئيسا للجمهورية "سيتبع الخط التقليدي الرفيع الذي يفصل بين علاقات متينة بين اسرائيل واميركا من جهة ، وبين اعتبار الحقوق المشروعة للفلسطينين من جهة ثانية . وهو معني كثيرا بعمليات القتل ومقاساة الناس هناك.. ويعتقد ان الدور الافضل لاميركا هو تنشيط المفاوضات دون حسم النتائج سلفا"(١٩).

اما ما حدث في مدينة اتلانتا اثناء مؤتمر الحزب الديموقراطي الاخير ، فانه يدل على نوايا دوكاكس الحقيقية بالنسبة للقضية الفلسطينية ، ومدى تأثره باللوبي الصهيوني . ففي مرحلة متأخرة من المفاوضات بين فريقي القس جسي جاكسون وفريق المرشح دوكاكس لانهاء الخلاف حول ثلاثة مواضيع ، تم الاتفاق على سحب واحد منها وعدم التصويت عليه .وكان ذلك موضوع الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم . وبالمقابل تقرر ان يفسح المجال لاربعة اشخاص ليخطبوا في المؤتمر حيث يؤيد الاقتراح اثنان ويعارضه اثنان اخران . وتضاربت اراء المحللين حول مدى نجاح مشروع التعديل هنا الذي قدمه ثم سحبه فريق جاكسون كبديل من الموقف المطروح على مؤتمر الحزب من قبل فريق دوكاكيس ، فيما لو صوت عليه . فتقول صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٨٨/٧/٢٠ ان الاقتراح لم يكن له اي حظ في النجاح على الاطلاق. وبذلك اعتبر فريق القس جاكسون ان الحل الوسط يعتبر نجاحا باهرا لهم لان الموضوع الفلسطيني كان يطرح على مؤتمر حزب سياسي في امريكا لاول مرة في التاريخ.

ولكن استفتاء للرأي العام قامت بتحضيره شركة كيبل نيوز وصحيفة لوس انجلوس تايمز

Digitized by Birzeit University Library

اثناء انعقاد المؤتمر اظهر ان مشروع الاقتراح بشأن فلسطين كان يحظى بتأييد من ٧٠٪ من اعضاء المؤتمر (٢٠) فاذا صح ذلك فلماذا وافق فريق القس جاكسون على سحب ذلك التعديل المقترح . والجواب الراجح هو ان اليهود الذين لا تزيد نسبة تمثيلهم في عضوية الحزب الديموقراطي المسجلين على ٢٪ تمكنوا من فرض نفوذ قوي على الحزب نيابة عن حكومة اجنبية . وانه ليس سرا ان موقف دوكاكس المؤازر لاسرائيل كان يشكل عاملا اخر ، بالاضافة الى رغبة القس جاكسون في ان يكون داخل الحزب بدلا من الوقوف في الخارج موقف المعارض.

امالعرض الكامل لذلك التعديل المسحوب من التصويت فانه كان يطلب من الولايات المتحدة ان :"تنهي حالة اللاسلم في الشرق الاوسط من خلال سياسة تقوم على الاعتراف المتبادل ومقايضة الارض بالسلام والاعتراف بحق تقريرالمصير للاسرائيليين وللفلسطينيين. . ان سلاما يقوم على هذه الاسس يمكن ان يكون وحده كفيلا بضمان امن اسرائيل وتحقيق الاماني الفلسطينية واستقرار المنطقة (٢١).

وقد علقت صحيفة "نيويورك تايمز" على ذلك بقولها:

نجحت الفئات اليهودية خلال هذا الاسبوع بمنع تسرب اي ذكر للفلسطينيين الى برنامج الحزب الديموقراطي. وتم ذلك بقيادة اللجنة الامريكية الاسرائيلية للعلاقات العامة (ايباك) .. وقد ذكر هايمان بوكبايندر ، وهو ممثل سابق للجنة واحد مستشاري دوكاكس للشؤون اليهودية . ان الفئات المساندة لاسرائيل ولحملة دوكاكس الانتخابية تشعر بكامل الارتياح لذلك النجاح (٢٢).

وهذا يعني ان النص الاساسي الذي قدمته جماعة دوكاكس ، وساهمت في صياغته اللجنة الامريكية - الاسرائيلية (ايباك) هو الذي دخل ضمن برنامج الحزب ، وذلك النص كما يلي:

انفا نعتقد انه يجب على هذا البلد الذي حافظ على علاقته الخاصة مع اسرائيل ، والتي تقوم على قيم مشتركة ومصالح استراتيجية مشتركة ، ان يقدم قيادة سياسية جديدة تتمتع بامكانية ألتوصل الى السلام والامن من خلال المفاوضات التي اقترحت لاسرائيل وجاراتها في اتفاقات كامب ديفيد (٢٣).

والدليل الاخر على مدى تقيد دوكاكس وانصاره باتفاقات كامب ديفيد هو ما حصل حينما حاول الدكتور جيم زغبي (وهو من قادة العرب الامريكيين المقربين الى القس جاكسون) الاتفاق مع جماعة دوكاكس على استبدال عبارة "اتفاقات" كامب ديفيد "بعملية" كامب ديفيد(٢٤) . اذ ان ذلك ، حسب رأيه يفتح المجال للفلسطينيين لممارسة حق تقرير المصير في المستقبل . ولكن جماعة دوكاكس رفضت اقتراحه وكانت اللجنة (ايباك) من اكثر المتصلبين في ذلك الرفض . كما رفضت اللجنة ادخال اي عبارات من نصوص كامب ديفيد المتعلقة بحقوق الفلسطينيين مثل عبارة "الحقوق المشروعة للفلسطينيين ومطالبهم العادلة" خوفا من ان يفسر ذلك بانه يحمل نوايا اقامة الدولة الفلسطينية . وحذرت اللجنة (ايباك) ايضا من استعمال عبارة تحقيق اماني الفلسطينيين وسيطرتهم على مصيرهم". وهذا كله يبين مدى سيطرة اللوبي الصهيوني ، رغم صغر حجم الجالية اليهودية على المرشح الديموقراطي وعلى موقف الحزب نفسه من الصراع العربي - الاسرائيلي .

وجدير بالذكر ان وزير خارجية الكيان الصهيوني شمعون بيريس كان قد زار دوكاكس في بيته قبيل ابتداء الحملة الانتخابية في ٨٧/٨/٢٢ واعرب بعد ذلك للصحفيين ان دوكاكس هو

Digitized by Birzeit University Library

صديق حميم لاسرائيل "يؤيدها مئة في المئة" (٢٥) وكان دوكاكس قد احضر مصورا لالتقاط صورة له مع بيرس لاستعمالها في الحملة الانتخابية.

ومن ناحيةاخرى ، تعتبركيتي دوكاكس ، زوجة المرشح ، من اكبر العاملين في النشاطات الصهيونية في ولاية ماساشوستس التي يحكمها زوجها . وستكون اول يهودية تتقلد لقب "السيدة الاولى" اذا تكللت خطى زوجها بالنجاح . وهي من النوع الذي يكتفي باداء "دور زوجة الرئيس" اذ انها تتطرق الى تصريحات سياسية تعتبر خارجة عن صلاحياتها. فعلى سبيل المثال ، القت خطابا رئيسيا في جلسة فطور بمدينة اتلانتا اثناء انعقاد مؤتمر الحزب الديموقراطي وكانت لجنة (ايباك) قد حضرت لتلك الجلسة.. واستهلت كيتي خطابها بما يلي:

ان مصير اسرائيل هو مصيرنا نحن.. وان الروابط التاريخية والثقافية التي تربط بلدينا لا يمكن ان تزول.. وسوف لن نخيب امال الاسرائيليين (٢٦) ثم اكدت على برنامج ايباك بقولها:"ان السلام في الشرق الاوسط لا يتم الا عن طريق المفاوضات المباشرة ، وليس هناك فراغ لتسوية تفرض من الخارج"(٢٧) . اي بواسطة المؤتمر الدولي الذي تقره اغلبية دول العالم . وباختصار ، فان موقف دوكاكس الشرق اوسطي شبيه بموقف اللوبي الصهيوني وخصوصا موقف (ايباك) حتى انه انفرد في الاعلان عن تعهده بنقل سفارة امريكا من تل ابيب الى القدس في حالة تسلمه الرئاسة.

اما جورج بوش ، نائب الرئيس ريغان ، ومرشح الحزب الجمهوري لرئاسة الجمهورية ، فان طروحاته لا تختلف ، في الاساس ، عن طروحات ريغان ودوكاكس. وربما ان عداءه للاتحاد السوفييتي لا ينبثق من نفس الايديولوجية اليمينية التي تسيطر على افكار ريغان . وكما هو متوقع في الحملات الانتخابية فان بوش يحاول الحصول على اكبر دعم ممكن في الاوساط اليهودية ومن مؤيدي اسرائيل . وعلى سبيل المثال ، صرح اخيرا مستشار بوش السيد دينس راس قائلا ان بوش يخشى نتائج انتشار الصواريخ الموجهة في سوريا والعراق وليبيا وايران ، ويخشى امكانية ان تحصل هذه الدول على التكنولوجيا لصنع تلك الصواريخ . ولكنه لم يذكر تواجد هذه الصواريخ في اسرائيل بل عبر عن قلقه لما تشكله الصواريخ من "تهديدا لاسرائيل" . واثنى على ادارة ريغان التي ابرمت اتفاقية مع اسرائيل لبناء صاروخ للتصدي لتلك الصواريخ ضمن مشروع حرب النجوم . وبهذا يحاول بوش ان ينتزع نسبة من التأييد اليهودي لدوكاكس ، الذي يعارض مشروع حرب النجوم . وقال مستشار بوش متحديا في هذا السياق:

من السهل ان يدعي المرء بالتزامه بأمن اسرائيل ولكن ذلك لا يعني شيئا في عصر الصواريخ الموجهة اذا كان ذلك الشخص يعارض مشروع حرب النجوم (٢٨).

وردت البروفيسورة اولبرايت ، مستشارة دوكاكس قائلة: لا توجد علاقة بين مساندة دوكاكس لاسرائيل ومعارضته لمشروع حرب النجوم.. ان علاقتنا باسرائيل هي امر في غاية الاهمية لا تسمح ان يستخدم في الاعيب سياسية او محاولات ترويجية لحرب النجوم (٢٩).

وبينما يتمتع بوش بتأييد في الاوساط المحافظة اليهودية ، الا انه من المتوقع ان يحصل دوكاكس على اوصات اليهود "الليبراليون" . وفي مقال نشرته صحيفة Jewish Timess في نيسان/ ابريل ١٩٨٧ ذكرت ان بوش هو اقل الجمهوريين ميلا لاسرائيل. واتهمته الصحيفة بانه اقنع ريغان بالتصويت ضد اسرائيل في هيئة الامم على اثر غزوها للبنان. كما ذكر الصحفي الامريكي وليم سافاير ، المعروف بعدائه للعرب في صحيفة نيويورك تايمز ان

Digitized by Birzeit University Library

جورج بوش "قاد الحملة لعقاب اسرائيل وتوقيف الشحنات العسكرية لها" بعد قصفها للمفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١. ولا شك ان بوش يؤيد اسرائيل كحجر الزاوية للاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط ، الا انه لا يريد ان يكون ذلك على حساب العلاقات الامريكية - العربية. فهو ينتمي الى مدرسة جان فوستر دالس وجيمي كارتر ، الا انه اكثر عداء من كارتر لشعوب ودول العالم الثالث.

والخلاصة ، فان عامل الوضع السياسي الداخلي في امريكا ، ان دل على شيء ، فانه يدل على استمرار وتزايز الالتزام الامريكي بموقف اسرائيل ، بغض النظر عن نتائج الانتخابات القادمة . وان الخلط بين اهمية العامل الاستراتيجي وعامل التصويت في السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط يؤدي الى اساءة فهم الحقيقة. فاللوبي الصهيوني لا يفرض نفسه وطروحاته على النظام الامريكي ، بل انه يشاركه في تقييم الوضع العالمي. والامر الذي اصبحت الدول العربية المحافظة تحسن فهمه وتقبله في الثمانينات هو انها هي ، وليست امريكا الاكثر عرضة للخطر . فهبوط العائدات النفطية مع الزيادة المماثلة في الاعتماد العربي على امريكا لاستيفاء الاحتياجات الامنية ، قد حرمت العرب من اي نفوذ فعال يمكن استخدامه لنصرة الحقوق الفلسطينية او التصدي للضغوطات الصهيونية على مرشحي الحزبين فهذه الانظمة الان ، وبعكس السبعينات ، بدأت تحقق ان امنها اهم بكثير مما يجري على ساحة الصراع العربي الاسرائيلي . وهي الان طرفا في صراع الانتخابات الامريكية لجانب الحزب الجمهوري ومرشحه للرئاسة ، جورج بوش. فالسعودية ودول النفط الخليجية تؤازر بوش الان بسلاح النفط ولكنه ليس نفس السلاح الذي استخدمته عام ١٩٧٣ . بل بالعكس فهي الان تخلق تدفقا في سوق النفط وتخفض الاسعار ، وبالتالي تساهم في الحد من ازمة التضخم في امريكا Inflation بشكل مؤقت ، وفي الحد من العجز في ميزانهاالتجاري ، الامر الذي يظهر الجمهوريين بمظهر صانع المعجزات الاقتصادية . ولا يخفى علينا ان الامور الاقتصادية تتصدر الانتخابات الامريكية دوما.

ولكي نرى اهمية هذه المساهمة العربية لانجاح بوش ، فلنأخذ على مستوى المثال ، ان هبوط سعر النفط بنسبة ١٠٪ فقط يعني تخفيض مستوى التضخم بنسبة ١٪ . وبما ان امريكا تستورد حوالي سبعة مليون برميل في اليوم الواحد بسعر يتراوح بين ١٤ - ١٥ دولارا للبرميل بتكلفة شهرية تتراوح بين ٢ر٩ - ٣ر٢ بليون دولار فان هبوط سعر البرميل الى ١٠ دولارات يؤمن:للمستهلك والناخب الامريكي قسطا كبيرا من التوفير (٣٠).

ان تكلفة هذه الاستراتيجية التي تأمل السعودية وحليفاتها من خلالها ان تؤمن البيت الابيض للحزب الجمهوري ، وبنفس الوقت تضغط على ايران لانهاء الحرب ، لباهظة حقا. فالتوفير بالنسبة للناخب والمستهلك الامريكي يعني انخفاض هائل في الدخل للشعب العربي ، ولكن فان الانظمة العربية ، على ما يبدو ، قد وصفت في حساباتها ان ذلك هو ثمن معقول للحفاظ على امنها. اذ ان امكانية استمرار تعهد ريغان الحالي في رئاسة بوش تفوق تلك في رئاسة دوكاكيس، الذي عبر عن معارضته لمشروع حراسة الشاحنات الكويتية. ولهذا ، فان التنافس بين العرب واليهود في معركة الانتخابات الامريكية الحالية لا يدور حول القضايا التقليدية ،كالقضية الفلسطينية ، كما كان الحال في السبعينات . فهناك اللوبي الصهيوني يقوم بفرض مطالبة على مرشحي الرئاسة والكونغرس كثمن لخدمات اسرائيل الاستراتيجية . وهناك انظمة عربية تضحي بدخلها لانجاح المرشح الذي ربما يواصل التعهد الامريكي للحفاظ على امنها. فهناك من يقرر

Digitized by Birzeit University Library

وهناك من يتوسل.ولا شك ان هذه الظاهرة في العلاقات العربية - الامريكية تعزز التبعية ولا تشير الى بوادر استقلال في القرار ، الامر الذي يحتاج الى تغييرات اساسية في الوضع الاقليمي وخصوصا في مصر والعراق.

الوضع العربي بعد انتهاء حرب الخليج:

وصفت حرب الخليج العراق في موقف ضعف استراتيجي ساهم في تعميق التبعية العربية.فالعراق ليست بنفس الاهمية الاستراتيجية للدول العظمى ، كايران . وهذه حقيقة تعرفها امريكا واسرائيل كما تبين من محاولتهما استقطاب التيارات المهادنة لامريكا داخل ايران بواسطة بعثة ماكفارلين. وهذه الحقيقة يعرفها ايضا الاتحاد السوفييتي وكان يعرفها رومل اثناء الحرب العالمية الثانية .

وتقع العراق الان وفي المستقبل المنظور تحت جزء من نفوذ اولئك الذين يسيطرون على الانابيب التي يصل عبرها النفط العراقي الى مشتريه في الخارج ، وتحت نفوذ اولئك الذين يبيعون نفطهم لتأمين واردات تمكنهم من دفع فواتير حربها مع ايران ، والذين يحتجزون الانتاج المستقبلي لنفط العراق كرهان للديون العراقية التي تقارب ١٠٠ بليون دولار.

كان العراق قبل عقد من الزمن يشجب محاولات امريكا وشاه ايران واسرائيل لمحاولتها قلب النظام هناك ، ويشجب محاولات امريكا وشركات النفط الاجنبية اقامة وصاية على السعودية ودول الخليج تهدف للحد من سيطرة العرب على كمية الانتاج وعلى الاسعار ولمنع الجيوش العربية والحركة الوطنية الفلسطينية من تحدي اسرائيل. وكان العراق لا يزال لغاية ١٩٨٠ يعارض سياسة النفط السعودية ويقود من طالبوا بفرض العقوبات على مصر بعد اتفاقات كامب ديفيد.

ولو لم تشتعل حرب الخليج لما تمكنت امريكا من مد شبكة قواعدها من المغرب الى عمان ، ومن تعزيز قبضتها العسكرية على السعودية لهذا المدى. وبدلا من كون الاصولية الاسلامية محورا للتصدي للامبريالية لكانت القومية العربية العلمانية ذلك المحور. ولو لم ينهمك العراق في تلك الحرب لما تمكنت طائرات اسرائيل المقاتلة من اختراق السماء العربية لقصف المفاعل النووي قرب بغداد ،ونتساءل حتى اذا كان بمقدور اسرائيل غزو لبنان . واخيرا نسأل انه لو لم تكن هناك حرب في الخليج فهل كان من الممكن ان يقوم النظام الثوري في ايران الاسلامية بالتفاوض من اجل شراء الاسلحة مع جنرالات اسرائيل الذين غزوا لبنان ، ويقوم بنفس الوقت رجال حزب البعث العراقي بمفاوضة اللوبي الصهيوني في واشنطن من اجل الحصول على مساعدات امريكية ، الامر الذي ساهم في خروج البلدين خارج نطاق الصراع الاستراتيجي الذي سيقرر مصير العالم العربي في المستقبل المنظور؟

ان مساهمة حرب الخليج في تعميق التبعية العربية هو امر لا جدال فيه ، ولكن السؤال المطروح الان هو ماذا يكون اثر انتهاء تلك الحرب على العلاقات الامريكية - العربية؟

تتضارب اراء المحللين في امريكا حول هذا الموضوع ، فهناك تحليلات ساذجة تدعي ان انتهاء الحرب لن يكون لصالح النفوذ الامريكي في المنطقة لان ذلك يعطي الفرصة لكل من بغداد وطهران لتعزيز مواقعها ، والخاسر الاكبر انذاك سيكون اسرائيل . ويضيف هذا التحليل ان

Digitized by Birzeit University Library

القوات العراقية اصبحت تتمتع بخبرة عسكرية تفوق خبرة اي جيش عربي اخر ، كما ان تلك القوات قد زادت من ثمانية الى خمسين فرقة في العشر سنوات الاخيرة (٣١).

ولكن هذا التحليل يتجاهل الفوائد التالية لامريكا:

١) امكانية الاستقرار في المنطقة الذي يؤمن لامريكا امدادات نفطية اكيدة باسعار زهيدة ، اذ ستتنافس العراق وايران على التصدير لتحقيق الدخل الضروري لاعادة البناء بعد الدمار.

٢) امكانية بقاء امريكا في منطقة الخليج بكلفة تقل عما هي عليه الان ، اذ ستتمكن من سحب جزء من اسطولها والتوقف عن حراسة الشاحنات الكويتية.

٣) امكانية البدء من جديد في استقطاب الفئات السياسية الهادئة داخل ايران ومحاولة ارجاع الوضع الاستراتيجي لشبه ما كان عليه اثناء فترة حكم الشاه. وكانت هذه الاستراتيجية هي الحافز الرئيسي لبعثة ماكفارلين التي ادت الى فضيحة صفقة الاسلحة عام ١٩٨٦.

٤) امكانية ان تحد نهاية الحرب من التحدي السيكولوجي الذي تنطوي عليه الاصولية الاسلامية بالنسبة للغرب ، الامر الذي كثيرا ما اظهر امريكا بمظهر الدولة العظمى المقيدة والتي لا تستطيع حماية رعاياها من ان يصبحوا رهائن.

ولكن بالرغم من هذه النتائج الايجابية المتوقعة لامريكا ، علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ان نهاية الحرب سيقيد تركيز الانظار الى الصراع العربي - الاسرائيلي ثانية . وذلك يتعارض مع المقولة الاسرائيلية التي تبنتها حكومة ريغان ان الخليج وليس القضية الفلسطينية تشكل عامل عدم الاستقرار في المنطقة .وهذا التحول المتوقع الذي يمكن ان يبرز مركزية القضية الفلسطينية من جديد وخصوصا بعد الانتفاضة في الضفة الغربية وغزة ، يحمل في طياته امكانية الضغط الامريكي على اسرائيل . ولكن ذلك لا يتم من خلال انظمة عربية مشغولة باحتياجاتهاالامنية قصيرةالاجل لحماية النظام وبمبيعات الاسلحة ، بينما تفتقر الى ابسط وسائل الضغط وتعاني من التبعية .ولكن المجال سيكون مفتوحا لذلك.

الوضع العالمي واثره على العلاقات الامريكية - العربية

هل يبشر البعد العالمي للعلاقات الامريكية - العربية باكثر ما يبشر به البعد الاقليمي؟ هناك حقائق ثابتة تجلت خلال السنين الماضية كان لها اثر مهم على الوضع السوفييتي في الشرق الاوسط . فقد اذنت دبلوماسية كيسنجر المكوكية التي بدأت عام ١٩٧٤ بعملية تم من خلالها حرمان الشرق الاوسط من استغلال التنافس الطبيعي بين القوى العظمى. وتدريجيا بات الشرق الاوسط على طريق التحول الى امريكا وسطى ثانية . وتضاءل الاتحاد السوفييتي ليصبح حجر عثرة ومعارضا مزمنا اكثر من كونه شريكا نشيطا في البحث عن تسوية النزاع في المنطقة .ولا شك ان مساهمة الانظمة العربية في استبعاد السوفييت عما يسمى بعملية السلام هو امر لا جدال فيه اذ ان شعورها بالضعف وخوفها على امنها جعلها تمنح الولايات المتحدة ، وبالتالي اسرائيل ، حق النقض (الفيتو) الفعلي في قضايا الحرب والسلام في المنطقة . وقد استوعب العالم العربي هذه الحقيقة وكف عن تحديها جديا منذ كامب ديفيد. ولذا لم يكن للاتحاد السوفييتي تأثير ذو شأن خلال الغزوين الاخيرين للبنان وفيما تبعهما من اعمال دبلوماسية. كما كان غياب الشرق الاوسط من جدول لقاء القمم بين ريغان وغورباتشوف منذ تشرين اول/ اكتوبر ١٩٨٥ ، امرا

Digitized by Birzeit University Library

ذا دلالة.

والسؤال المطروح الان هو هل من المتوقع ان يبقى هذا الوضع الذي تنفرد به الولايات المتحد · كالدولة الاعظم الوحيدة ، ترتب علاقاتها مع الدول العربية على اساس التبعية ، على حالة ام هل هناك بوادر تغيير لصالح العالم العربي؟

هناك ظواهر جديدة لسياسةالسوفييت العالمية منذ تقلد غورباتشوف الحكم سيكون لها اثرا على الشرق الاوسط والعلاقات العربية ـ الامريكية . ففي ظل عملية "بيريسترويكا" (اعادة البناء) التي اصبحت تتسع لمختلف نواحي السياسة السوفييتية ، يركز القادة السوفييت على اولوية الاقتصاد الداخلي وخطر الافناء المتبادل. فالمشاكل الاقتصادية للاتحاد السوفييتي تدفع نحو الحد من توسيع نفوذه في العالم الثالث. وها هي القوات السوفييتية تنسحب من الافغانستان بينما تبدو القضايا الاقليمية الملتهبة في نيكاراغوا وجنوبي افريقيا وجنوب شرق اسيا على وشك الانفراج دون ان تقوم واشنطن باية تنازلات تذكر.

وهذه الاولويات لسياسة موسكو الجديدة تعني ، على ما يبدو ، ضرورة اخضاع الصراعات الايديولوجية بين انظمة اجتماعية واقتصادية متناقضة او متباينة ، مهما احتدمت ، الى قضية تسبقها في الخطورة ، وهي حماية الكوكب الذي نعيش عليه . ومعنى ذلك ان الصراعات يتعين تطويعها لهذه المعطيات الجديدة مهما كلف الامر. ويقول الكاتب محمد سيد احمد في هذا السياق ان هذا يعني "انه لم يعد الاتحاد السوفييتي يزعم انه مع اطراف وضد اطراف.. (وان) اعمال ادوات السياسة والدبلوماسية مع مختلف الاطراف لا الاحتكام الى الايديولوجية اومناصرة الحركات او المنظمات او الانظمة "الثورية" ضد الانظمة الموصوفة "بالمحافظة" او "الرجعية" (٣٢).

ولذلك · نرى ان الاتحاد السوفييتي يقوم بتوسيع حلقة دبلوماسية في الشرق الاوسط ، فمنذ ان تقلد منصب الحكم ، قام غورباتشوف بتحسين العلاقات مع دولة عمان والامارات والبحرين والكويت واليمن الشمالي والاردن ومصر ، وبذل جهودا جمة نحو ذلك الهدف مع السعودية ، كما انه اقنع الفصائل الفلسطينية ان تنسق فيما بينها وساهمت محاولاته في عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الثامن عشر المعروف بالمؤتمر التوحيدي.

وجدير بالذكر ، ان البرنامج الجديد للحزب الشيوعي السوفييتي ينص على ضرورة تحسين العلاقات مع دول العالم الثالث التي تميل الى طريق الرأسمالية. وبالاضافة الىتحسين العلاقات مع الدول العربية المحافظة ، فان الاتحاد السوفييتي قام بمبادرات عديدة لتطبيع العلاقات مع اسرائيل منذ تموز / يوليو ١٩٨٥ . ويبدو ان موسكو الان تعتقد ان عدم وجود علاقات طبيعية لها مع اسرائيل كان قد ساهم في تضاؤل دورها في دبلوماسية الشرق الاوسط.

والرؤيا الجديدة لغورباتشوف تقر ضرورة ان يكون الاتحاد السوفييتي طرفا ذا شأن له اتصالات مع كافة اطراف النزاع بدون استثناء. وتحتوي هذه الرؤية على نموذج عملي لمنهج البحث عن حل وسط. ويشكل هذا عنصرا جديدا في سياسة الاتحاد السوفييتي التي كانت تدين اتفاقات كامب ديفيد في السابق ادانة مطلقة. اما الان فانها لا تدين الاتفاقات المنفصلة جملةوتفصيلا. وبالرغم من ان هذا النهج البراغماتي يختلف عن نهج موسكو السابق ، الذي كان يؤازر الحركة الوطنية العربية ضد الاستعمار والصهيونية ، الا ان اصرار الزعيم غورباتشوف ان لا يكون بلده غائباعن المنطقة سيعطي الفرصة للعرب للاستفادة من وجود دولتين عظميين

Digitized by Birzeit University Library

وليس دولة واحدة. فاحتكار المنطقة من قبل دولة عظمى واحدة طيلة السنوات الخمس عشرة الاخيرة لم تؤد الى تسوية عادلة اوتوازن في العلاقات الخارجية ، لان تلك الدولة كانت ولا تزال راضيةبالامر الواقع غير المقبول من القوى الوطنية . ولكن توفر الفرص لا يعني بالضرورة استخدامها.

الهوامش

1. Washington Post 15 August, 1979.

2. New York Times 25 February 1985.

3. Richard Murphy,"Maintaining Momentum On The Middle East Peace Negotiation". Current Policy (U.S. Dept of State, Buseau of Public Affairs), no 126 (27 June 1985).

٤) مؤلف الكتاب الصحفي الامريكي ذائع الصيت Bob Woodward الذي يعمل في "واشنطن بوست" استقى مواد الكتاب من وليم كيسي مدير وكالة المخابرات الامريكية خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٧.

Bob Woodward, Vail page 352.

جيم هوغلاند كتب نفس الشيء في جريدة"واشنطن بوست" بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٧٧.

٥. المصدر السابق Woodward ص٢٩٦.

6. Abbas Alnasrawi. "The Arab Economies: Twenty Years of Change and Dependency" Arab Studies Quarterly Vol 9 No. 4 (Fall 1987) , p.365.

7. Samih K.Farsoun "Oil, State and Soiad Structure in the Middle East "Arab Studies Quarterly vol 10 No.2 (Spring 1988),p.156.

8.Alnasrawi, p.366; Farsoun pp155 - 156.

9. Farsoun, p.156.

10. Roger Owen,"The Arab States under stress " World Policy Council (Fall 1986),p.649.

11. Farsoun , op. cit. pp.164 - 165.

12. See Alnasrawi , op.cit.

13. Samir Amin, The Arab Economy Today (London: Zed Press,1982).

14. Alnasrawi.

15. Alnasrawi.

16. "Mike Dukakis On The Issues: Towards Peace and Security in the Middle East: Voston: Dukakis for President, n.d.

١٧. المرجع نفسه.

18. Christian Science Monitor 27 July 1988.

١٩) المرجع نفسه.

20. Standard - Times (New Bedford, Mass) 23 July 1988.

21. Washington Jewish Week 21 July 1988.

Digitized by Birzeit University Library

22. New York Times 20 July 1988.

23. Washington Jewish Week. 21 July 1988.

٢٤) المرجع نفسه.

25. Boston Globe 22 August 1987.

26. Washington Jewish Week. 21 July 1988.

٢٧. المرجع نفسه.

28. Boston Globe 3 August 1988.

٢٩. المرجع نفسه.

30. Rick Gladstone " Can OPEC Mix Oil, Politics to end Gulf War? Springfield Union News 13 July 1988.

٣١) انظر على سبيل المثال:

Smith Hempstone,"The Perils of Peace" Boston Globe. 3 August 1988.

٣٢) محمد سيد احمد "التفكير السوفييتي الجديد والطرق الاوسط" الاهرام ٢٧/٧/١٩٨٧.

Digitized by Birzeit University Library

مع مسرحية « موتى بلا قبور»

خطوة نوعية جديدة للارتقاء بالشكل الفني الى مستوى المضمون

سعدي عوض

قدمت فرقة الورشة الفنية، على خشبة مسرح الحكواتي بالقدس، أول عرض لمسرحيتها الجديدة «موتى بلا قبور» وهي من تأليف الكاتب الفرنسي الوجودي جان بول سارتر والذي استوحى أحداثها من حركة المقاومة الوطنية الفرنسية أثناء احتلال الجيوش الهتلرية لفرنسا في الحرب العالمية الثانية. أعد المسرحية وأخرجها مازن غطاس بتحويل الترجمة العربية الصادرة عن دار الآداب في بيروت من لغتها الفصحى الى العامية المحلية، وساعده في الاخراج نبيل عازر الذي وضع الموسيقى أيضا، وقام بالعزف والتوزيع يوسف حنا.

ومع اختلافنا مع فكر سارتر أساسا، الا أن مسرحيته هذه كانت تجسيدا لروح المقاومين عند وقوعهم في أيدي جلاديهم. وربما كان معدّ المسرحية ومخرجها مازن غطاس على غير اتفاق مع فكر سارتر ايضا، فنجده قد حذف من المسرحية نهايتها السارترية، كما أضاف اليها فكرة «الشرشوح» الذي يمثل طبيعة وبناء الجيش الهتلري الذي يعتمد على تنفيذ التعليمات والغاء دور العقل كليا. وربما كان الغاء بعض الأدوار والمواقف الواردة في الأصل يعود أيضا لهذا السبب، أو لضرورات فنية رأى المخرج أنها لا تخدم حركة الصراع المتنامي في المسرحية كما قدمه.

ان المقولة المنطقية التي ينهض عليها بناء المسرحية هي :« ان حرية الوطن تفتدى بأغلى التضحيات». تقع مجموعة من المناضلين في أسر القوات الهتلرية، ونشاهدهم مصفدين بالأغلال في انتظار التحقيق معهم، ونتعرف من خلال الحوار على شخصياتهم، ونحّس بمقدار القلق والاصرار على الصمود في نفس الوقت الذي يملأ نفوسهم. ان فرانسوا الشاب (اسماعيل الدباغ) قلق يخشى التعذيب والموت ويعلن هذا الخوف لرفاقه: سوربيية (كامل الباشا) وهنري (وليد عبد السلام) ولأخته المحتجزة معهم لورا (جاكي أيوب) ويبدأ الصراع الدرامي متناميا . الكل يعلن أنه يخشى التحقيق، ولكن لا بّد من

Digitized by Birzeit University Library

الصمود، ولكن فرنسوا الشاب يعلن أنه ليس بطلا، وانه سيتكلم اذا ما تعرّض للتعذيب، وهنا تظهر لنا شخصية اخته لورا التي تجمع بين القوة القادرة والرومانسية الثورية. كل رفاقها يحبونها ولكنهم يخفون هذا الحّب، وهي بدورها تحّب جان قائد المجموعة، تحبه كانسان وكبطل مناضل، وتشعر نحو هنري باعجاب ومودّه. كما أنها تعامل أخيها فرانسوا الشاب وكأنه طفل

الافصاح عن شخصية جان وضرورة خروجه من السجن أمرا مصيريا تتوقف عليه حياة ستين مناضلا أخرين سيقدمون الى القرية وهم لا يعلمون أن الألمان قد احتلوها، وجان وحده يمكنه اعلامهم ذلك عند خروجه. ولكن فرانسوا يعتقد أن افشاء ستر اسم جان قد ينقذ حياته، لذا فهو على استعداد لاعلام المحققين بحقيقة جان. وتعرض المسرحية بعد ذلك ألوان التحقيق

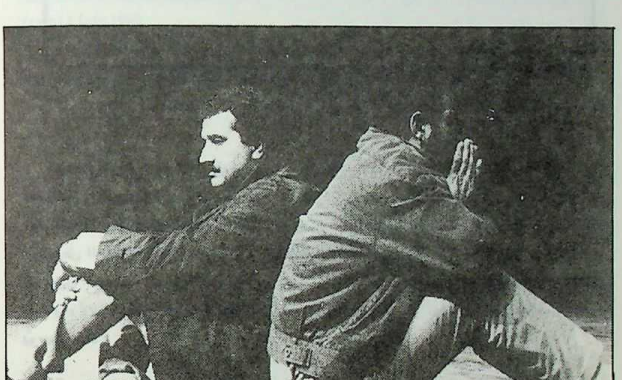

● مشهد من مسرحية «موتى بلا قبور» ●

صغير في حاجة دائمة لحمايتها ورعايتها. ويعلن سوربييه انه يخشى التعذيب، ويخشى أن يعترف تحت وطأته. ويمضي الصراع متوترا صاعدا موضحا صورة المناضل في جوهره الانساني، في حبه وخوفه وصموده وتضحياته. وفجأ يقذف السجان داخل الغرفة بقائد المجموعة جان، (خلف أمير طه) الذي يعلمهم بأنهم اعتقلوه عن طريق الخطأ وأنهم لا يعرفون شخصيته، وهو يتوقع ان يتم اطلاق سراحه بسرعة، ويزداد الصراع توترا، ويصبح أمر عدم

والتعذيب، ويكاد سوربيه أن ينهار، فيقفز من شباك الغرفة معلنا لرفاقه أنه لم يعترف وأنه فضل الانتحار على التعذيب . نمّو جديد في الصراع يتبعه التحقيق مع هنري الذي يواجه الامر بكامل وعي المناضل، ولكنه رغم ذلك يصرخ أثناء التحقيق متألما دون ان يمكن المحققين من الوصول الى شيء، وتمّر لورا بنفس التجربة، ونجدها صامتة جامدة كالصخر رغم أن المحققين انتهكوا؛ عرضها . ولكن الخوف يزلزل الشاب فرنسوا، ويحّس رفاقه بأنه سيتكلم لا

Digitized by Birzeit University Library

محالة، فيكون قرارهم باسكاته نهائيا، وتدفع لورا أخته مؤيدة هذا الاتجاه، فتكون نهاية فرانسوا خنقا على يدي هنري وبموافقة لورا. وهكذا يصان الستر، ويخرج جان طليقا، ليواصل النضال، ويواصل كراهية الهتلريين، وينقذ رفاقه الستين.

قد لا يكون هذا تلخيصا منصفا للمسرحية، ولكن ما ورد هنا هو محاولة لتتبع خط الصراع المتنامي، والذي ميّز المسرحية. فهي تتناول جوهر النضال .. لا صورته، كما انها تتناول جوهر مشاعر المناضل لا صورتها أيضا. الامر الذي مكن مخرج المسرحية من تقديم متتاليات فنية شحنت القاعة الغاصة بالمشاهدين بالترقب والانبهار.

تآزرت العناصر الفنية لتقدم لنا عملا جميلا مقنعا. وقد أدى الممثلون أدوارهم بكل جدارة واقتدار. فالشرشوح (علي الحجاوي) مثل دور الجندي الدمية، ورغم انه لم يتكلم حرفا واحدا طيلة المسرحية إلا انه كان مقنعا تماما، وقام المحققان كلوشيه (جورج ابراهيم) ولوسي (سهام غزالة) بدورهما، وقدما مجموعة من اللوحات الفنية السريعة والرشيقة مستغلين الاضاءة ايضا، ليعرضا لنا نفسية نوعية من المحققين ورغم تباينهما يجمعهما الفشل الشخصي والحقد على الضحية ومحاولة الانتصار عليها كمعركة شخصية يتطهر كل محقق فيها من فشله. وقدم كامل الباشا دور سوربييه كمناضل انسان يحتمل الضعف والخوف ولا يحتمل خزي وعار الاعتراف، وكان اسماعيل الدباغ (فرانسوا) متألقا، قدم لنا شخصية جديدة تفوقت على الشخصية الأصلية التي أوردها سارتر في مسرحيته، واستطاعت جاكي أيوب (لورا) أن تؤدي دورها البالغ التعقيد (صلابة، رومانسية، حب، صمود، تجاوز هتك العرض، محبة الاخ،واحتمال منظر اغتياله) بكل المشاعر التي يتطلبها مثل هذا الدور.وقدم (خلف أمير طه) دور جان باسطا صورة القائد الانسان الذي لا يحتمل عذاب رفاقه ويحاول أن يضحي بنفسه من أجل خلاصهم ولكنه في نفس الوقت مرهون لدور نضالي أخر هو الاستمرار والانتصار.

كان التمثيل جيدا، ولكن يحّس المشاهد أن جاكي أيوب أفلتت من قبضة المخرج الصارمة، وأنها أدت دورها المعّقد كما رأته هي وعاشته معه، ولا أدري ان كان هذا الامر في صالحها أم ضدها. فمن الجدير بالتقدير أن يعايش الممثل شخصيته التي يقوم بأداء دورها، ولكن الافلات من شبكة المخرج يعطي الممثل حرية تقمص دور (النمط) الذي اعتاده الممثل سابقا، ويضعف من سيطرة المخرج على تناغم فنية العمل. ومن ناحية ثانية فان المخرج لم يعط كثيرا من الاهتمام لدور خلف أمير طه، ربما لقصر الدور، وبذلك أضاع علينا المخرج كثيرا من قدرات خلف التي عرفناها في أعمال سابقة له. لقد غطى خلف دوره بذاته أيضا، ولم يتدخل المخرج في صقل الشخصية كثيرا، لجأ خلف الى الخطابة وارتفاع الصوت وجهارته محاولا بذلك تجاوز عدم عناية المخرج بدوره. إن خلف قدرة تمثيلية لم تستغل تماما، ولم تستطع الافلات من خيوط المخرج الصارمة.

وقدم نبيل عازر ويوسف حنا لوحات موسيقية اغنت المشاهد واستكملا بها الحوار. كانت الموسيقى من داخل منطق العمل، وليست استدعاءا خارجيا كما يحدث في أغلب المسرحيات المحلية.

أما فكرة الديكور التي وضعها المخرج ونفذها الرسام عدنان الزبيدي وساعده فيها علي الحجاوي، فكانت بسيطة للغاية واعطت مفهوم جيش الشراشيح الذي لا يعرف شيئا سوى أن يكون دمية يحركها مجانين العنصرية الهتلرية.

ولعبت الاضاءة التي أشرف عليها كل من رمزي الشيخ قاسم وكارل فاتيالي وعماد سمارة دورا مماثلا لدور الموسيقى، فخدمت الحدث

Digitized by Birzeit University Library

والحركة وساعدت الممثلين كثيرا في ابراز مواقفهم في خضم الصراع الصاعد.

لقد قدم المخرج مازن غطاس عملا مكتملا رسمه بكل اتقان، وقد ساعده في ذلك اختياره للممثلين القادرين من ناحية، وامتلاك المسرحية محورا منطقيا حمل معه جوهر الصراع وشخصياته وأحداثه، كما أن علينا أن لا ننسى اصرار المخرج على أن تكون اعماله متميزة دائما.

ونحن في انتظار عمل آخر جديد متميز يكون خطوة ثانية على درب ارتقاء الشكل الفني الى مستوى مضمونه النبيل.

بيان مشترك لاتحاد الصحفيين في المانيا الاتحادية واتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع

الترحيب باعلان دولة فلسطين كخطوة نحو السلام في الشرق الاوسط

● تثمين اتفاق السلام الذي بادرت اليه لجنة الكتاب والفنانين الاسرائيليين والفلسطينيين ●

● شبرينغن ـ المانيا الاتحادية ـ في الثالث والرابع من شهر كانون الاول عام ١٩٨٨ اجتمع في بلدة شبرينغن الالمانية الاتحادية رئيس اتحاد الصحفيين في الاتحاد العام للنقابات الالمانية الغربية، السيد هارتموت شبرغل، مع رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في فلسطين المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة)، السيد اسعد الاسعد. وتم الاتفاق على البيان المشترك التالي:

«ان ممثلي كل من منظمات الصحفيين والكتاب الفلسطينيين والالمان الاتحاديين: ادانوا الرقابة المفروضة على الصحافة الفلسطينية واعتقال سلطات الاحتلال الاسرائيلية لاكثر من خمسين صحفيا وكاتبا وملاحقتهم.

وطالبوا بمنح جميع الصحفيين العاملين في الاراضي الفلسطينية المحتلة حق ممارسة عملهم بحرية ودون قيود، ولا سيما حرية التنقل في هذه المناطق.

واكدوا على حق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة.

ورحبوا باعلان الدولة الفلسطينية المستقلة، كخطوة نحو السلام في الشرق الاوسط.

ونوهوا بضرورة عقد مؤتمر دولي للسلام لحل نزاع الشرق الاوسط، برعاية الامم المتحدة، وبمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية.

واتفقوا على تكثيف تبادل المعلومات وضرورة تبادل الوفود في موعد سيحدد فيما بعد، واعرب اتحاد الصحفيين الالماني عن تضامنه مع الصحفيين والكتاب في الاراضي الفلسطينية المحتلة. ويعتقد الاتحاد الالماني الاتحادي بان في استطاعة العاملين في ميدان الاعلام ايضا، ان يسهموا في عملية السلام في الشرق الاوسط، وذلك انطلاقا من حقائق منها اقتراح عقد اتفاقية سلام بين اسرائيل والدولة الفلسطينية الذي عرضته «لجنة الكتاب والفنانين الاسرائيليين والفلسطينيين ضد الاحتلال» ومن اجل السلام وحرية الابداع» يوم ٨٨/٦/١٣.

واكد اتحاد الصحفيين الالماني على دعمه لفكرة عقد مؤتمر لصحفيين من دول اوروبية واخرى واقعة على حوض البحر الابيض المتوسط للتداول من اجل ايجاد حل لقضية فلسطين ودور وسائل الاعلام».

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة:

لماذا أبتسم الشاطر حسن ؟!

ابراهيم جوهر

ظل «أبو العينين» طيلة مساء ذلك اليوم متفكرا مهموما، ولم يستطع أن يقوم بتحضير واجبه الوظيفي حيث يتعين عليه في اليوم التالي أن يقف أمام طلابه ويلقي محاضرا ما قام بتحضيره في اليوم السابق. ربما اعتمد في ذلك عل ثقته بنفسه كمعلم نال رضى مدرائه والموجهين التربويين الذين يعتبرونه معلما ناجحا ومخلصا، ولكن المهم أنه لم يستطع القيام بواجبه الذي اعتاده طول حياته التعليمية. فأبو العينين معلم مدرسة عليا في رام الله، وبما أنه يحب عمله وطلابه، ظل مخلصا لمسؤولياته التربوية والتعليمية، وهو الذي يرى في التدريس أكثر من الراتب الشهري آخر كل شهر. انه هذه الوجوه الناصعة التي جار عليها الزمن وقيض لها معلمين يتحسسون جيوبهم آخر كل شهر ويعطون بمقدار انتفاخها.

لم يكن من هذه النوعية، بل كان يحاربها في أحاديثه ومقالاته التي كانت بعض الصحف المحلية تنشرها له بعد طول انتظار من جانبه. وأبو العينين بعد ذلك كله، محبوب من زملائه في العمل ويحظى باحترامهم، الا قلة من تلك النوعية التي تحب أن تتحسس جيوبها آخر كل شهر. فهل كان مكتفيا ؟ وهل صحيح أنه لم يكن بحاجة دائمة، كغيره، الى تلك الأوراق اللعينة التي لا يستطيع الانسان ان يعيش بدونها ؟

كثيرون قالوا: انه ليس بحاجة اليها، وانه يستطيع أن يتدبر أموره، وبعضهم أضاف بلؤم... بطرق لا يدريها غير الله

الوحيد الذي يعرف حقيقته هو صديقه فادي الذي كان يستدين منه ثلاث مرات قبل آخر الشهر، حيث موعد استلام الراتب. وكان يحسده على اخلاصه وتفانيه في العمل على الرغم من كونه بحاجة الى تلك الأوراق الساحرة. ولكن كيف نشأت علاقة بينهما، تطورت الى صداقة؟.

فادي وأبو العينين على طرفي نقيض، وبينهما عداء سياسي قديم، فادي درس في العراق وأحب العراق وصباياه وسهراته الليلية وأبو العينين درس في جامعة محلية، أحب حجارتها القديمة وطلابها ومواسمها الانتخابية ومظاهرات طلبتها واحتجاجاتهم ضد الاحتلال وضد الادارة.

عندما التقى أبو العينين بفادي في ظروف عملهما في مدرسة رام الله لم يكن أحدهما يعرف شيئا عن الاخر، ولكنهما اكتشفا بسهولة التوجه الفكري لكل منهما. لم يؤثر ذلك على احترام كل منهما للاخر ولكنه لم يجلب المودة مباشرة كما لو كانا متفقين في

Digitized by Birzeit University Library

المبدأ.

فادي بعد عودته من العراق كان قد اعتقل وجرب السجن، وأبو العينين جرب السجن أيضا.

فادي اعتقل مدة خمسة عشر شهرا في سجن نابلس المركزي في شمال الضفة الغربية، وأبو العينين اعتقل مدة ثلاثة أشهر في سجن الخليل في جنوب الضفة، ولعل تجربة السجن أثارت فيهما مشاعر معينة حرص كل واحد منهما على نقلها الى زميله الآخر، فاتفقا على أن السجن للرجال وأن السجانين ظلمة. وكانت بداية تقاربهما، وحاول كل واحد منهما أن ينسى أن الآخر على نقيض معتقداته الفكرية، فتصادقا.

****

أبو العينين شاب فارع القامة، في الثلاثين من عمره، وسيم الوجه شعره أجعد، بدأ الشيب يغزوه بنشاط واضح قضى حياته الجامعية يتدبر القسط الفصلي للجامعة بصعوبة. توفي والده قبل خمس سنوات بعد حياة بدأها أجير فرن يصنع الخبز والبسكويت للمترفين من الناس وبقي عاطلا عن العمل في آخر حياته مدة عشرين عاما بسبب تراكم التعب والجهد والأعصاب المحروقة مع حطب النار.

كانت امه تبيع الحلوى والبسكويت لطلاب المدرسة في القرية لتوفر له مصروفاته ومتطلبات الجامعة وكان يستدين القسط الفصلي للجامعة من المعارف والأصدقاء. وكم كانت تنتابه لحظات من الشعور المتناقضة بين الافتخار والاحتقار لهذا الماضي وتلك الحياة التي يتذكر كيف عاشها في صباه. كان يقول لنفسه:«ليس الفقر عيبا» وكان أيام الجامعة يفتخر بفقره وكدحه ويدلل بذلك على كونه غير مزيف، فهو ينحدر من أسرة عمالية بالكاد تتدبر قوت يومها، ولو أنه بعد ست سنوات على تخرجه من الجامعة اصبح غنيا لظل يفتخر بذلك محولا الوجهة والنتيجة ولتفاخر أمام الناس بالعصامية، كما يفعل أغنياء بلده هذه الأيام ليدللوا أنهم لم يرثوا من أبائهم بل أنهم صنعوا غناهم بأنفسهم.

واليوم بعد أن ظل حاله كما كان عليه، اى أصبح معلما وصار أبا لطفلين يرى صورة شقاء والده ووالدته أمام عينيه، ويتنبأ بأن تعاد في شخصه، اذ انه يحرق أعصابه في التعليم بدون أن يستطيع توفير ما يكفيه، كما أحرق والده أعصابه في الفرن، وأورثه الفقر. هل سيعيش أبنائي كما عشت أنا؟ كان يؤلمه هذا السؤال وهو يرى الواقع أمامه الذي يجيبه بالايجاب.

***

كانت أحداث ذلك اليوم أكبر من أن يمر عنها مرور الكرام، على الرغم من كونه قد اعتبر نفسه منسلخا عن هموم شعبه بسبب اليأس الذي تراكم في رأسه وفكره، لذلك لم يستطع أن يقوم بأي من واجباته في مساء ذلك اليوم وأصابه أرق شديد منع عنه النوم.

استلقى على فراشه، ظهره على الارض وعيناه في سماء الغرفة، ظل يحملق في الفراشة التي تدور حول المصباح الكهربائي المغبر حتى نسيها بعد أن ألف حركتها الغبية الرتيبة. وعلى حركتها راح يفكر في أحداث ذلك اليوم...

رأى شاحنة عسكرية ضخمة تدوس سيارة محملة بالعمال العرب وتعلو العجلات الكبيرة جماجم أربعة منهم، تسحق عظامهم ويختلط دمهم باسفلت الشارع المغبر وعرقهم المتراكم على أجسادهم في ذلك

Digitized by Birzeit University Library

اليوم من كانون الأول.

لم يستطع تحمل منظر الدم. أغمض عينيه عله يبعد ذلك المنظر المؤلم عن مخيلته، فطارده حتى بعد أن أغلق عينيه.

قال في نفسه: الحادث متعمد، ويجب أن يكون هناك رد.

- ولكن أهالي المخيم ردوا على الفور، حطموا عدد من السيارات العسكرية وجرحوا عددا آخر.

- وأطفال هؤلاء العمال... هل يكتفون بهذا؟ ومع هذا التساؤل، أفاق... كان العجز والتوتر والقلق يلف جسده.

انه يعرف أحدهم حيث عمل في احدى العطل الصيفية وإياه في ورشة بناء في يافا ثم انتقلا سوية الى تل أبيب يبنون الطوب ويحلون البنيان ويزرعون الحدائق حول البناء الجديد.

كان أمجد يحدث أبا العينين عن ابنه الصغير الذي كان يدور مع أصدقائه وراء الجنود الذين يمرون في أزقة المخيم ويردد معهم: بيعه، بيعه، وهم يؤشرون الى أسلحتهم التي يحملونها بين أيديهم.

مرة قال لابي العينين: اتعرف يا أخي وصديقي، انه قطعة مني هذا الصغير وصورته لا تفارقني ليل نهار، كيف أستطيع أن اصف لك مدى حبي له.

قال أبو العينين: لا حاجة لذلك، فأستطيع معرفة ذلك دون تصريح.

أفاق أبو العينين من سرحانه وهو يتصور أمجد الصغير يملأ صدره بالحجارة ويواجه السيارات الاسرائيلية، ولا يبكي، وهو يقول: كرمال خاطرك يا بوي. أنا اللي بياخذ ثارك ولا يهمك.

شعر أنه عاجز عن الوفاء لصديقه وبقية زملائه الذين طحنتهم الشاحنة، فماذا يستطيع أن يعمل ؟!

قام الى مكتبه وبدأ بالتحضير لمحاضراته في اليوم التالي: لغة عربية لطلبة السنة الاول - قصيدة عمر بن أبي ربيعة . قرأ القصيدة التي تتضمن قصة مغامرة الشاعر في الوصول الى محبوبته.

«هل سأصرف وقت المحاضرة في الحديث عن هذه المغامرة؟»

لم تعجبه المغامرة ولا توقيت القصيدة.

- «سأتحدث عن مغامرة أخرى أقرب الى الواقع».

... وبدأ يفكر في قصة مستمدة من الواقع ليسخرها في النقاش وليتطرق بعدها الى كيفية الكتابة غير المزيفة، الصادقة، فوجد نفسه يكتب العنوان التالي :

مغامرة وهدف
الشاطر حسن الجديد

.....

.....

وكتب عددا من الأفكار التي تدور حول مغامرة طفل، أسماه الشاطر حسن الجديد، وكيف يصل الشاطر حسن الى هدفه في نصب كمين لدورية عسكرية، وكيف أنه ظل يرجمهم بالحجارة وكل ما تقع عليه يداه الى أن استشهد.

شعر أنه يخلص لذاته ويخفف من عناء دورانه في دائرة الاغتراب. قال لنفسه: «هذا أقل ما يمكن أن أعمله ... وليكن ما يكون ».

في اليوم التالي، هيأ نفسه، استعد جيدا. قرر أن يكون انسانا آخر. رأى في مهمته الجديدة لهذا اليوم، شبها كبيرا بالشاطر حسن الذي سيتحدث عنه، قال: سأولد اليوم من جديد.

Digitized by Birzeit University Library

شعر نفسه حرا، متخففا من قيود كثيرة.. ولم يعبأ بردة الادارة أو الوزارة... وصل المدرسة، لم يكن بحاجة الى كثير ذكاء ليعرف أنه لن يلقي المحاضرة هذا اليوم، كان الجو متوترا، ومشاورات الطلبة واستعداداتهم دلته على ما يبيتون...

مرت ربع ساعة. قرع الجرس، الساعة الثامنة، كان صوت قرع الجرس إشارة للانطلاق لدى الطلبة. ارتفع العلم، أخرجت الاطارات. إطارات كثيرة تدحرجت في وقت واحد... وبدأ العمل. أبو العينين، لم يكن في حاجة الى مراجعة دفتر تحضيره، لم يتحسر على الفرصة التي «ضاعت» وقد هيأ نفسه لها جيدا حين أراد التحدث عن الشاطر حسن الجديد. فقرر ...

****

دعا مدير المدرسة الى اجتماع يحضره المعلمون.

المعلمون حضروا.

المدير تحدث .

كان موضوع الاجتماع حول «الشاطر حسن الجديد». تحدث المدير، تحدث المعلمون.

قال فادي صديق أبي العينين وزميله، وقد تمالك نفسه:

- لقد قرن الفعل بالقول، فصار الشاطر الذي يجب أن يكون.

أنهى المدير الاجتماع. انتهى الاجتماع، وظلت صورة أبي العينين في صدر القاعة ملفوفة بالعلم. غادر المعلمون القاعة، وظل فادي يتأمل صورة صديقه.

شيء واحد برز من الصورة. لقد كانت ابتسامته عريضة في تلك الصورة الأمر الذي لم يفعله في حياته.

«تذكرة سفر وقصص أخرى»

عن منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيي في الضفة الغربية وقطاع غزا صدرت مجموعة قصصية لابراهيم جوهر بعنوان «تذكرة سفر». تقع المجموعة في ٩٦ صفحة من الحجم المتوسط، وقدم لها النقاد د. ابراهيم العلم، وتضم المجموعة ١٧ قصة قصيرة ».

Digitized by Birzeit University Library

شعر

.. ولملمْ قَصِيدَكَ في دفقةِ الناي

وسيم الكردي

سأُفشي وأَجهرُ عندَ الوريدِ بكلِّ الأصابعْ
لعلَّ الكتابةَ تخرجُ مِنْ ربقةِ الحلمِ سرباً
يغذُّ المسيرَ
يَقُضُّ المضاجعْ
يُروِّضُ كلَّ عَصِيِّ الحروفِ
ويَقْحَمُ قصرَ الكنايةِ
يجلسُ فوقَ رُكامِ البلاغةِ
فوقَ حصارِ المجامعْ
وأمضي مَعَ السربِ
أفرشُ في الريحِ ذاكرةَ المواجعْ
أغُذُّ المسيرْ
لشعرٍ أسيرْ
أحاولُ بوحَ الكلامِ العتيقِ
وصَبري يُمانعْ

***

صديقيَ عذراً
فأنتَ برملِ التلالْ
تحيطُ القصائدُ ثوبَ الجلالْ
وشعري تلكأَ عند انفضاضِ الرمالْ
فكيفَ نُسَوِّي حُروفاً تَلَفَّتْ
بحرفِ الدلالْ
صديقيَ عُذراً
ولكنْ ...
أتذكرُ يومَ التقينا
وكنَّا نلملمُ كلَّ خُيوطِ الكلامِ
ونصعدُ من جذوةِ الشعرِ
نَنْسجُ فوقَ الخيامِ القصيدةْ
وكيف ستنسى؟!!
وأنتَ على صفحةِ الرملِ
باقٍ
تلملمُ دفءَ الكلامِ
وبَردَ الكلامِ
وتنفخُ فيهِ الحياةَ وروحاً جديدةْ
أتذكرُ يومَ هَتفنَا "نشيدَ الاله"
جهاراً
وشمسُ الظهيرةِ
تأكلُ منَّا الجُلودْ
وينهشُ صدرا تعرَّى
رصاصُ الجنودْ
مشينا
نهارا
بقربِ الرصاصِ
وفينا الرصاصُ
يَشقُّ الصدورْ
نَفضنَا الرمالَ
نَفَضْنَا الحجارَ
نبضنا هُتافاً
يضاهي النفيرْ

Digitized by Birzeit University Library

وكيف ستنسى؟!!
وأنتَ على حائطِ القيدِ
باقٍ
«تُخربشُ» حُلمَ «الهزارِ»
وسرَّ الخلود
أتذكرُ يومَ حرثنا الرمالَ
بعصرٍ
يلامسُ وجهَ المساءِ
وكنّا نُفتشُ بين الدقائقِ
عن علبٍ لفظتْ تبغَها
واستراحت
وأرخَتْ على صفحةِ الرملِ أجسادها
تُنفضُ عنها التُرابَ
نُوسّدُ فيها مكاناً لعَدْوِ الكلامْ
ولكنّ لماذا ؟!!!
وليستْ تُساوَى القصائدُ
عندَ انطواءِ المعاءِ
بكسرةِ خبزٍ ورشفةِ ماء

****

وكُنّا نَبيتُ على الرملِ
والرملُ أصفرُ والضوءُ أصفرْ
ولحمي ولحمُكَ أصفرْ
ولونُ الأصابعِ أصفرْ
ويبدو الهواءُ المُمزَّغُ أصفرْ
كأنَّ الليالي
أخذْنَ التضاريسَ مِنّا
وبعدُ ...
استفقنا على هامشِ القلبِ
نَسفحُ وحشةَ هذي الرياحِ
ونسألُ عمّا افتقدنا
وكُنّا نُسَبِّلُ عينَ المساءِ
قَبيلَ الولوجِ الى مرفأِ الحُلمِ
نَدْلِفُ من تحتِ خَيْمِ
نُكشّفُ صُفرةَ هذا المساءِ المُعرّى
على خوذةِ العسكري بكُشْكِ الحراسة
على جناحِ فراشةْ
على النجمةِ الباردةْ
ونُشعلُ - في الكشفِ - سيجارةً
تتوجسُ هاجسَها الليلكيَ
وأرقها طارقُ الجمرِ والصفرة الباهتةْ
وشاءتْ ختاما ونحرا
بِلا يُهرَئِبُ من الرغبةِ الهاتكةْ
ونفتحُ بين دخانٍ تصاعدَ منها
كتاباً قديماً
تَسرّبَلَ بالصُفرةِ الفاتكةْ
ونقرأُ همساً
وننبشُ بين الحروفِ
لعلَّ المسافةَ تبقى
ونلقي ورودَ البياضِ
نُضمّدُ فيها الجراحَ
ونُسكِنُها باحةَ القلبِ
نشربُ منها بياضَ البياضِ
ونمنحُها الطلعةَ السالكةْ

***

أتذكرُ يوماً...
ثقيلَ المزاجِ
وكُنّا على صحوةِ النبضِ فيهِ
نداعبُ جفنَ المساءِ
ونهبطُ في دفقةِ الناي ليلاً
نلملمُ بعضَ حكايا الزنابقِ سِرّاً
ونَنثرُها في كتابْ
صديقيَ عُذراً
فكيف ستنسى ؟!!
وما زِلْتَ تنبشُ بين الحروفِ
تُلملمُ كلَّ حكايا الزنابقِ
كلَّ نزيفِ السحابْ
تَلوذُ بدفءِ القصيدِ
تُشرّعُ صدرَ النجومِ
فتخلعُ عنها الإزارَ
وترشفُ ضوءاً
كرَشفِ الرضابْ

***

١٩٨٨/١١/٢٥
رام الله

Digitized by Birzeit University Library

شعر

الى هيراقليطس: سيد الديالكتيك

شعر: حسين جميل البرغوثي

كنت صغيرا، تركض في السهل الى نيران لا تعرفها،
وكلاب كانت تنبح قرب خيام الليل ،
فتعبر بين الخوخ عبور الريح وتبحث عن شفق
في اعشاش طيور لا تفهمها،
وجبال العمر امامك لا يسكنها الا
بعض ضباع لا يركبها الا
عقل في زيغ او من يوحشه العيش مع البشر.
تشرب من نبع تلمع فيه مياه المجهول ، وترغب في
تقبيل خيالك لما
يهتز على سطح الماء المقمر مثل الطحلب،
ثم يكون ندى
تنفض رأسك ، مثل حصان:
تهتز على العنق العضلات واجراس نحاس ذات صدى
تجلس كالقط الاسود: تلمع اعينك الفسفورية بالعزلة،
والصمت،
على حجر.
والرعب بلاد
من وصل الكشف لديه الى هذا العمق - سواك -وعاد؟

* * * * *

انت التخمر في العجين ، وانت التحول في المستنقعات
انت استثناءات الزمن العادي: تداخل ما سوف يجيء
وما فات ، فانت مسافات
انت الرجولة في الانوثة،
والانوثة في الرجولة،
انت عقل في النجوم ، وانت نجم في العقول،

Digitized by Birzeit University Library

تحرك المتناقضات ، تناقض المتحركات ، فانت مثل الكون:
كنت،
تكون،
سوف تكون، نارا للابد
تشتعل بمقياس وتخبو بمقياس.
تنزل مثل رفوف الحجل البري على ارصفة الاحلام ،
فتنقر حبا، من بين الاشواك ، وتترك حب.
تنام..مشردا فوق سطوح البيوت ، واما
غناء الفجريات فيأتي من بعيد وأما
القمر فكان اميل للغرب..
لا ينمو القمح القمري على القرميد الاحمر، لكن تنمو...
لا ادري كيف ، ولكن تنمو...
تنمو...
ونطير اليك طموحا وفراشات.
هذا هو الزمن الذي فيه المساء طغى على حلم البنات
وبقيت وحدك: شاهقا،
بين التقوقع والمدى
هذا هو الزمن الذي فيه الندى
خان النبات...
وبقيت وحدك في التوازن بين من سقطوا ومن وصلوا نهايات الشتات.
انت التناغم في التنافر،
او صفاء الماء في نهر من الاحلام يغري
بالسباحة والخوف من غرق بدون مقدمات.
ترغب في التنبيه للجريمة قبل وقوعها
يا سيد التنبيه
والوعي ممرات شائكة ،
وهواة مغامرة الوعي الثوري المبدع يخشون التيه.
لما تعج الشوارع بالنساء ،
يخاف الوعل من الحب ، ولما
الوجود يسيل دما، او جمالا،
لذة ، او راهبات
لا شر في المتناقضات.
ترتاح بالحركة
مثل التوتر في الوتر
لا فرق بين مزاج السمكة
والتعكر في النهر.

Digitized by Birzeit University Library

منطق واحد يحكم الكون: والكون نار للابد
تشتعل بمقياس وتخبو بمقياس.
زرقة البحر في الشمس وجه تغير للماء في الملعقة
واختراق الفراش عل النار وجه
تحرر للقيد في الشرنقة
يا سيد الحركات المرهقة
لا شر في المتناقضات.

يا سيد الحركات ما هذا الصراع؟ كأنه نضج الضياع كأنه...
يا سيد الحركات ما هذا الضياع؟ كأنه نضج الصراع كأنه...
لا شر في المتناقضات هنا
تجيء لنا،
نروح لها،
وقلب لم تحركه الاحاسيس انتهى.
يا سيد الحركات،
ما هذي الطيور تغوص في موج الشفق؟
طارت طفولتنا بعيدا.. حين لاحقها الجنود ، هنا الامان هنا
قناع للقلق
نتمزق، لا ادري كيف ، ولكن نتوحد،
لا ادري كيف،
ولكن يتوحد فينا ما سوف يجيء وما فات ،
فنحن مسافات.
نحن التشرد في عيون الوعول،
ونحن الطبقات ، ونطلب محو الطبقات ، فنحن استثناءات
الزمن العادي ، خلود اللحظة عبر ملايين السنوات.
يا سيد الحركات المرهقة
لا شر في المتناقضات.
لا ينمو القمح القمري عل القرميد الاحمر لكن ننمو...
لا ادري كيف ، ولكن ننمو..
ننمو...
وتطير الينا: نارا في حلقات
فاهدأ... لنا حين نبدأ
يا سيد الحركات..اهدأ

Digitized by Birzeit University Library

قصيدة من الشعر المكسيكي المعاصر

عمر

* خوان خوسي اوليبر * (٥)

ترجمة:
الدكتور - محمد عبدالله الجعيدي
(كلية الاداب والفلسفة - جامعة مدريد)

كل شيء قد قيل
لكن لا احد يبالي، ولذلك
يتوجب البدء دائما من جديد
اندريه جيد

هناك
منذ خمسة وعشرين عاما
كان الاطفال يتحولون نورا،
نارا وزمنا
اليوم هم من جيلي
او لهم عيناي
ويلومونني
على الكلمة.
تجعل مليون قبر
كريح تطير
الى الابد.
وما شهدت هيروشيما قط
صبحا اكثر اشراقا
من ذلك الصباح

اغسطس ١٩٧٠

* ولد JUAN JOSE OLIVER في المكسيك العاصمة سنة ١٩٤٥ ، من اعماله: "الثمن" ١٩٧٢

Digitized by Birzeit University Library

أصداء ثقافية

فلسطين من خلال الوثائق

صدر باللغة الانكليزية كتاب «فلسطين من خلال الوثائق» للسيد ربحي حلوم ممثل م.ت.ف. في تركيا عرض فيه الكاتب لعدد من المواضيع الهامة.

- الباب الأول - فلسطين جغرافية وتاريخا وشعبا.
- الباب الثاني - بحث مستفيض عن اسرائيل والصهيونية وارتباطهما الوثيق ببعضهما البعض.
- الباب الثالث - منظمة التحرير الفلسطينية، مؤسساتها تركيبتها.
- الباب الرابع - وثائق تاريخية عن فلسطين ونشوء منظمة التحرير وحركة «فتح».
- الباب الخامس - مؤتمرات عربية ودولية ولقاءات واجتماعات هامة عن القضية الفلسطينية.
- الباب السادس - قرارات الامم المتحدة ومؤتمراتها التي تناولت القضية الفلسطينية.
- الابواب السابع والثامن والتاسع دراسة موثقة ومعززة بالصور والنصوص عن الخلفية الثقافية للشعب الفلسطيني، أدبا وفلكلورا.

ابطال الحجارة - مسرحية مغربية

بالدار البيضاء - أصدر الكاتب المغربي علي الصقلي مسرحية جديدة بعنوان «أبطال الحجارة» المسرحية مكونة من فصل واحد وتقع في ٧٤ صفحة، وقد استلهمها الكاتب من الانتفاضة الفسطينية في الاراضي المحتلة.

محمد وتد «وزغاريد المقاثي»

أصدر الكاتب عضو الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة الجزء الثاني من روايته «زغاريد المقاثي». ويقع الجزء الثاني الصادر عن منشورات «البرق» في ١٦٦ صفحة من القطع المتوسط. ومن الجدير بالذكر أن الجزء الأول من روايته قد صدر قبل عدة أسابيع، والجزء الثالث والأخير سيصدر قريبا.

خطوات في الأرجوان

دمشق - أصدر اتحاد الكتاب العرب (فرع دمشق) مؤخرا كتاب «خطوات في الأرجوان» للشاعر الفلسطيني عصام ترشحاني، ويعتبر هذا الكتاب هو الديوان العاشر للشاعر، ومن الدواوين السابقة للشاعر ترشحاني: « الغزالة تعود الى البحر»، « ومن لن يغني لكم»، «يوميات الوردة المحاصرة»، و «حرب السنبلة».

عقيدة جبران

• لندن - صدر كتاب «عقيدة جبران» للكاتب جان داية. ويقع الكتاب في ٤٦٤ صفحة من الحجم المتوسط.

الكتاب صدر عن دار «سوراقيا» في لندن. ويعتبر هذا الكتاب من اهم الدراسات حول الكاتب اللبناني جبران خليل جبران ويتناول بالتحليل المنهجي التطور الفكري - الثقافي لجبران كما أنه يشكل تحليلا للمرحلة كلها، للنهضة الثقافية - الفكرية والمدارس الادبية العربية، خصوصا في المهجر.

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- درجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر مجلة الكاتب .

قيمة اشتراك واحد لمدة على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم Name

العنوان Adress

المدينة City

البلد Country

قيمة الاشتراك

	سنة الخير	سنة	سنتين		للمؤسسات المحلية
الاشتراك المحلي	١٥ دولار	٢٥ دولار	٤٥ دولار	الاشتراك السنوي	٥٠ دولار
اوروبا	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٧٠ دولار	اوروبا	١٠٠ دولار
بلدان اخرى	٣٠ دولار	٥ دولار	٩٠ دولار	بلدان اخرى	١٥٠ دولار

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

● جنديان من قوات الاحتلال الاسرائيلي يتكلان بطالبة فلسطينية في حي الشيخ جراح في القدس المحتلة يوم ١١ الجاري.

Digitized by Birzeit University Library

□ طفل عائد من مدرسته يمر امام دورية اسرائيلية قرب كنيسة المهد في بيت لحم.

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

105

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library